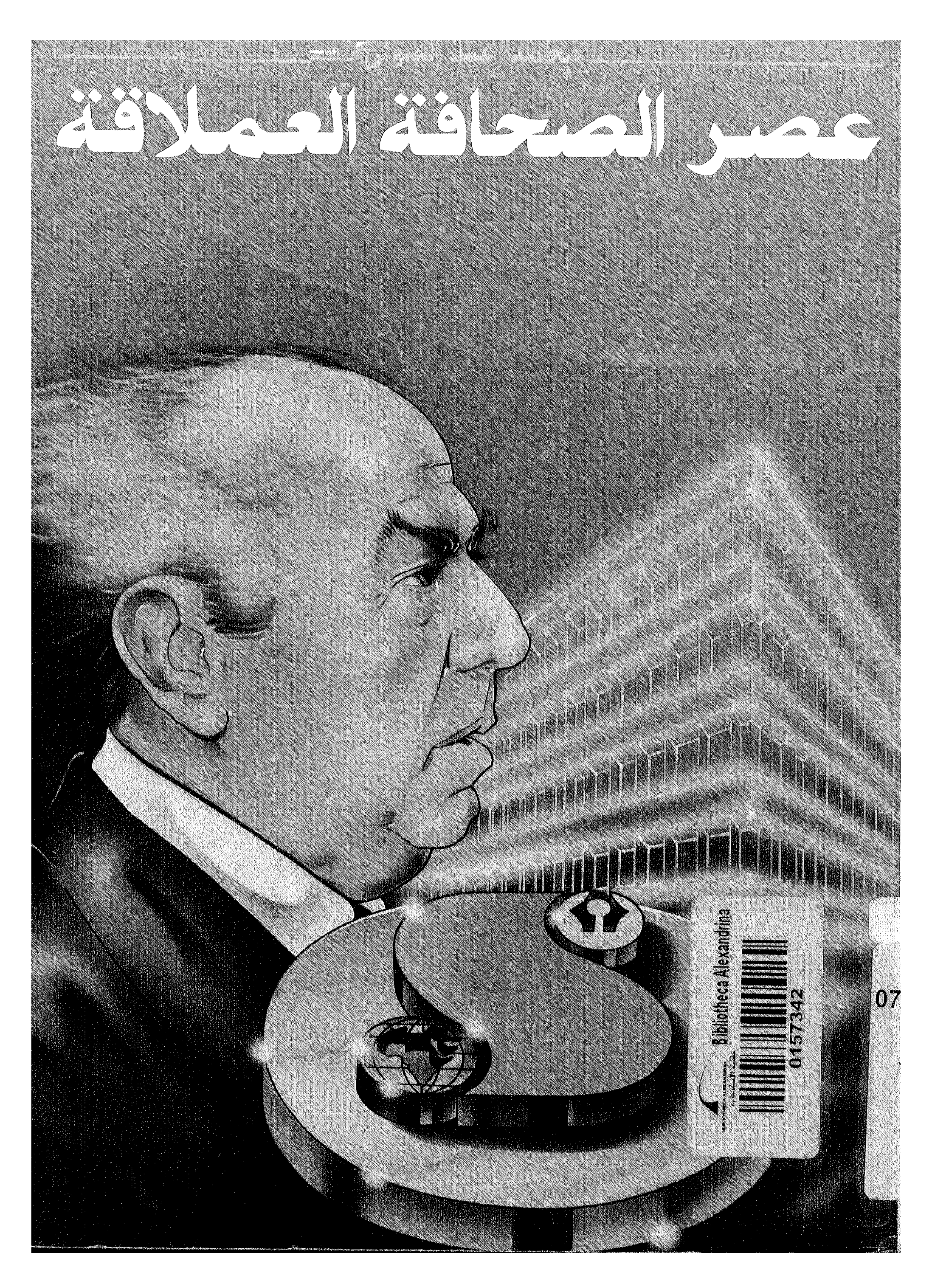

محمد عبد المولى
عصر الصحافة العملاقة



عصر الصحافة العملاقة

للمؤلف

- لبنان بين التحرر والاستعمار
مطبعة الحياة، دمشق، ١٩٥٨.

- حركات التحرير الافريقية
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

- في عمق اسرائيل
منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٣.

- ثورة اريتريا والصراع الدولي على البحر الاحمر
دار العودة، بيروت، ١٩٧٦.

- الانهيار الكبير
دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٧ (الطبعة الاولى)
١٩٧٩ (الطبعة الثانية)

محمد عبد المولى الزعبي

عصر الصحافة العملاقة

دار الصياد

من مجلة إلى مؤسسة

دار الصياد - بيروت

دار الصيّاد
الحازميّة - بيروت

الطبعة الأولى ١٩٩١
طبع في لبنان

إهداء

في حديث اجرته صحيفة «الانــوار» ونشرته في الرابع من آذار - مارس ١٩٧٦، قال عميد «دار الصياد» الراحل الكبير سعيد فريحه معتذرا بتواضع الكبار للزميلة هدى الحسيني: «ارجو المعذرة اذا ذكرت اسم الابنة البطلة الهام التي اتاح لها غيابي وغياب شقيقيها عصام وبسام فرصة ابرزت كفاءتها وقدرتها على ادارة الدار والاشراف على اصدار صحفها بصبر وشجاعة وتصميم مذهل».

والسيدة الهام فريحه مؤمنة بالصحافة ومنحها الذات الانسانية كلها. فالصحافة بنظرها قمة التطور الذي هو سنّة الحياة. ولكونها كذلك، فقد وهبتها حياتها مسترجعة ما سمعته من والدها عن قصة الرئيس روزفلت مع الصحافة. فعندما انتهت ولايته في البيت الابيض، انتقل لرئاسة تحرير صحيفة «نيويورك تايمز»، وقال في اول افتتاحية له انه يشكر الله الذي جعل التطور نحو الافضل والأكمل سنّة لخلقه. فقد تطور هو من رئاسة الدولة الى رئاسة تحرير صحيفة «نيويورك تايمز».

فإلى السيدة الهام سعيد فريحه اهدي هذا الكتاب،
فهي رمز تضحية،
وعنوان صمود،
وقصة وفاء غير مروية بعد، يحيطها حجم مأساة لبنان، فيبعدها عن الاضواء.

محمد



المحتويات



تقديم

كره الصحفي والكاتب اللبناني الكبير سعيد فريحه اسم الطاغية نيرون الروماني لانه يوحي بالنار والدمار والجنون، وعشق اسم الفيلسوف اليوناني سقراط لانه يوحي بالحكمة والعقل.

واذا كان لبنان، وبعد سنة واحدة فقط على الحرب فيه وعليه، بحاجة الى سقراط كما قال سعيد فريحه، فانه الآن، وبعد انقضاء عقد ونصف العقد من الزمن على حرب الفناء، اكثر احتياجا لقلم انسان حكيم بنى «دار الصياد» بالكلمة الحلوة والحلم الجميل.

ويحتاج لبنان الى العقول قبل البنادق، حاجته الى عصامية رعيل من الاعلاميين امضوا زهرة اعمارهم يبنون مؤسساتهم بالصبر والجهد والدموع والسجن والتشرد والجوع، ويمدون جسور الوفاق الوطني الى كل بيت وعقل لبناني، ويسيّجون لبنان الوطن بالمحبة والتسامح باصرار تساوى فيه حبهم للوطن وايمانهم بضرورة ربطه بوشائج القربى والنسب بنسيج دائرته العربية، ينفعل ويتفاعل، يؤثر ويتأثر.

وازداد رجال هذا الرعيل الرائد تمسكا بالافكار التي غرسوا بذور كلماتها في الارض الطيبة عبر مسيرتهم الاعلامية الفذة، وهم يشاهدون نيران الحرب تحرق وتدمر بلد الاشعاع والنور، ولم يندموا على الصروح الاعلامية التي شيدوها، بينما النيران تحاصر وطن العقل والفكر بظلام الجهالة والجاهلية.

واعتقد البعض ان لبنان يحترق بالنار «الرومانية» التي لا تطفئها المياه! خاب اعتقادهم لان الكتب والكلمات وافكار العقول البناءة اكثر مضاء من السيوف، بعكس ما يروجه الشعراء. فالتتار الذين انتقموا من كتب العلم والمعرفة برميها في دجلة والفرات رغم انتصار اللحظة الذي حققوه، انحسروا ولحقهم الفناء، والتصقت بذكراهم اللعنة في كتب التاريخ.

وغدا عندما ينفض المؤرخون المعاصرون غبار التراجيديا اللبنانية، سيجدون الجسد الاعلامي في طليعة الذين يعيدون الوهج الى بلد الاشعاع والنور والعطاء. فالبذور التي غرسها العمالقة انجبلت بارض الخير.

ولم يصل رجال من صحافة الرعيل الرائد الى رتبة العملقة بالصدفة ولا بسهولة. فقد كانت لعملقتهم اسبابها المميزة التي وضعتهم في مواقع الريادة، او ما يصح اعتباره مدرسة صحفية متفردة بخصائص ذاتية، تحولت بفعل الممارسة والاستمرارية الى قواعد صحفية عامة وملزمة لجيل اعلامي كامل تتلمذ ودرس وترعرع وكبر ونما في مدرسة الرعيل الرائد.

ومن تلك الاسباب، اولا: انه اذا كان الصحفي يعتبر كرسيه وراء مكتبه في الصحيفة التي يعمل بها ارفع من اي كرسي آخر يُغرى به عادة كل صاحب جريدة او مجلة محترمة، فان هذا الصحفي يستطيع ان يضمن الحياة لمطبوعته وان يضمن توسعها الى دار او مؤسسة. وهناك كثيرون من اصحاب الصحف والمجلات كان يُعرض عليهم منصب كبير، فيرفضونه من غير عقدة نقص تجاه اي كان.

ثانيا: وبالمقابل، يدل التاريخ الصحفي الحديث في لبنان ان الكثير من الذين انشأوا الصحف كانوا كتابا وميالين لاعتبار مقالاتهم هي كل شيء في العمل الصحفي، ومثل هؤلاء لا ينشئون دائما صحفا قابلة للحياة وان كانوا كتابا من الطراز الاول كالشيخ يوسف الخازن او موسى نمور. فالصحفي الذي يصنع مطبوعة باقية، سواء كانت جريدة او مجلة، هو الصحفي الذي يفهم اهمية النواحي الاخرى في المطبوعة، يفهم اهمية الخبر واهمية الادارة واهمية المال.. بالاضافة الى فهمه اهمية المقال والتعليق والتحقيق.

ثالثا: ان الفئة المؤهلة اكثر من غيرها لان تدرك اهمية النواحي الاخرى، من صحفية اخبارية بحتة او ادارية او مالية، هم الصحفيون الذين يصعدون السلم درجة درجة، ويسيرون في دروب مهنة البحث عن المتاعب خطوة خطوة، ويكونون من العصاميين الذين يعرفون قيمة المال الصعب. اما بعض الزعماء من اهل الاقطاع، كما دلت تجربة لبنان الصحفية، الذين جاؤوا للصحافة وهم على قدرة مالية تتيح لهم انشاء الجرائد عن طريق بيع اراضيهم وارزاقهم، فهؤلاء لا يصنعون صحافة طويلة العمر لان الصحافة تحتاج الى مال لا تكفيه فدادين واطيان من الاملاك الزراعية او غيره من المال الموروث.

رابعا: ان احدى مقومات بناء صحافة مؤسسية هي العيش في العصر وامتلاك روحه. وهذا يعني فهم قيمة الجماهير واذواقها وميولها وكون العصر الحالي يختلف عن اي عصر سابق. ففي السابق كانت النخبة وحدها تحكم وتقرر. اما الآن فالجمهور هو في مثل اهمية النخبة والحاكم وصاحب القرار ان لم يكن اكثر.

خامسا: «اصبحت الصحافة تعيش في عصر كله مؤسسات، ولا تستطيع ان تكون شيئا اقل من المؤسسة تكوينا وادارة واعلانات وتحريرا تخصصيا. ثم ان الصحيفة يجب ان تكون متفاعلة مع الادارة الحكومية حيث تأخذ الاخبار، ومع البنك حيث تستلف، ومع المدرسة والجامعة حيث تجذب الاستاذ الجامعي ليكون كاتبا لديها والطالبُ كي يكون مخبرا او قارئا. وعلى الصحيفة كذلك ان تقيم العلاقة مع الاحزاب والنقابات والنوادي والاتحادات، تأخذ منها جميعا وتعطيها. كما عليها ان تكون موجودة في المؤسسات الدينية والثقافية، والاقتصادية حيث تقيم علاقات مع هذه القوى المادية والمعنوية الشديدة التأثير في هذا العصر وفي كل عصر. كما ان الصحيفة يجب ان تكون بطبيعة الحال، وبصورة خاصة، على علاقة مع دور الاعلان ووكالات الانباء وصناعة المطابع لان هذه بنات البيت الواحد والعائلة الواحدة»[1]

ان من اهم اسباب القدرة على تحويل العمل الى مؤسسة هو ادراك اهمية نظام العلاقات بين المؤسسات الذي يجب على الصحيفة ان تفهمه وتتفاهم معه لكي تكون صحيفة بالمعنى المؤسسي. فالصحيفة ليست المغني بقدر ما هي الاوركسترا. والصحفي الذي يطرب لمن يقول له انت اكبر من صحيفتك ليس قادرا على اقامة صحيفة دائمة. والعكس صحيح. فالصحفي الذي يطرب اذا قلت له ان صحيفتك هي الاكبر، هو الصحفي المؤسساتي، الرائد والعملاق. وهو الاقدر على النجاح في هذا العصر.

وتجربة سعيد فريحه في «دار الصياد» ملف كبير، مليء بالوقائع الحية والثبوتية، التي تؤكد العناصر السابقة. ولن يتراكم على هذا الملف غبار الزمن. ففيه تاريخ صحافة لبنان الحديث والمعاصر.

لكن ثمة مشكلة حقيقية في هذا الملف الضخم الذي يتكون من عدة اجزاء. وهي مشكلة متعلقة، كما يقول الاكاديميون، بعملية اختيار جانب واحد من حياة سعيد فريحه الثرية، الانسانية والصحفية والادبية والسياسية والشخصية الذاتية. ان الاحاطة بكل تلك الجوانب في دراسة واحدة، او كتاب واحد ظلم لهذا الانسان الذي تقول عنه ابنته الهام، وهي محقة في قولها، انه انشأ مدرسة صحفية بدون ان يدخل مدرسة في حياته.

ونحن لم نصادف هذه المشكلة الاكاديمية لاننا صممنا منذ اللحظة الاولى التي لمعت في ذهننا فكرة الكتاب على بلورتها دون غيرها، مفسحين في المجال للآخرين ان يغوصوا في اعماق الدرر الادبية والسياسية والانسانية والشخصية الذاتية التي اعطاها سعيد فريحه خلال خمسين عاما كاملة. ان الامر يحتاج الى اصحاب الاختصاص من الطلاب والاساتذة في الجامعات. فهذا واجبهم، وحق المجتمع عليهم لانه لم يبخل عليهم حين منحهم ظاهرة متعددة المواهب اسمها سعيد فريحه. ومن حق هذا المجتمع على ابنائه من الاكاديميين ان يدرسوا وان يبحثوا في تلك الظروف البيئية التي عمل فيها سعيد فريحه. وهو في هذا السياق ظاهرة اجتماعية بالاضافة الى كونه ظاهرة صحفية وادبية وانسانية.

والامثلة تتعدى مجرد الظاهرة الاجتماعية والصحفية. لقد بدأت شهرة سعيد فريحه الصحفية في «الجعبة». وهي عدا عن كونها كانت موقفا سياسيا من الاوضاع اللبنانية والعربية السائدة، الا انها كانت اول «زاوية» ادخلت «ادب الاعتراف» الى الصحافة اللبنانية. ولهذا فـ «الجعبة» تحتاج الى اديب متمكن كي يغوص في مكوِّناتها ومكنوناتها، في مبناها ومعناها. ان «الجعبة» هي الحجر الصغير الذي بدأت منه «دار الصياد». «لقد تطورت الجعبة لتصبح مجلة، فدارا تصدر عنها عدة مطبوعات» (٢).

هذا يؤكد ما ذهب اليه الدكتور صبحي البستاني، رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية، في معرض مناقشته لرسالة ماجستير عن سعيد فريحه. فقد ربط بين الادب والصحافة قائلا: «الصحافة ظاهرة تلازمت مع ادب ما عُرف بعصر النهضة وبالعصر الحديث، وازداد انتشارها يوما بعد يوم، واكتسبت، وما زالت تكتسب، بانتشارها فعالية وتأثيرا، حتى باتت تدخل يوميا او اسبوعيا كل بيت تقريبا. الا يستحق هذا الزائر المنتظم ان نتوقف عنده؟ أيجوز ان نغمض اعيننا بعد ذلك عن طبيعته؟ اليس من واجبنا كجامعيين ان نكون السباقين الى دراسة هذه الظاهرة من مختلف جوانبها لنتعرف اليها اولا ولنحكم على دورها وقيمتها ثانيا؟

«كانت الصحافة، ولفترة ما بين نهاية القرن الماضي ومنتصف القرن الحالي المنبر الوحيد تقريبا لكتّاب الادب الحديث. وهي ان تخلت عن دورها الاحتكاري للاقلام الادبية بعد سنة ١٩٤٠ (الّا انها) كونت لنفسها عالما قائما بذاته، مزجت فيه، وعبر تطورها، بين الفن والتقنية، بين العلم والجمال، بين الافادة والمتعة. وغدت اليوم نمطا كتابيا قائما بذاته، لها معجمها الخاص ولها تراكيبها الخاصة، اخضعها صدورها اليومي لمواكبة تطور الايام، فحملت منها الكثير وحمّلتها الاكثر.

«في دنيا الصحافة هذه برزت ظاهرة اسمها سعيد فريحه تكاد (ان) تكون اذا ما استعرضنا منشوراتها اليومية والاسبوعية عالما بحد ذاته، فاختلط الاسم بالمؤسسة، لا بل اصبح الشخص مؤسسة. مؤسسة اضافت الى هذا الصرح الهائل مداميك عديدة

وليس مدماكا واحدا. نعم، ان سعيد فريحه ظاهرة صحفية ان لم اقل ادبية». [٣]

ودفعت هذه الظاهرة الطالب الجامعي جوزف ياغي الجميل لاختيار اطروحته لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها (الماجستير) عن «سعيد فريحه: الانسان، والصحافي والاديب».

وجاء في تبرير الاختيار إجابات لتساؤلات اطلقها الطالب وتدور حول محور واحد هو: لماذا سعيد فريحه لابراز التفاعلات الابداعية بين الادب والصحافة؟

وواجه الطالب امورا عديدة في عملية التحضير والدراسة والكتابة. كان بينها:

١ ـ الجدَّة في الموضوع: اذ لم يتطرق احد من الباحثين او الكتاب الى سعيد فريحه من منظار اكاديمي معمّق.

٢ ـ كثرة عطاءات الكاتب. وتعتبر مقالات سعيد فريحه التي تنوعت وتعددت في الصحف السورية واللبنانية منذ عام ١٩٢٦ وحتى تاريخ وفاته عام ١٩٧٨، دلالة واضحة على خصب عطاءاته في مختلف الميادين. وهي مقالات نُشر قسم منها في كتب مستقلة لاقت رواجا وتقريظا كبيرين..

٣ ـ شهرة الكاتب في المجالين الصحفي والادبي. لقد اشتهر سعيد فريحه منذ اطلالته على عالمي الصحافة والادب بالكلمة الظريفة والاسلوب اللاذع الذي لا يسيل الدماء، كما تؤكد شهادات اصدقائه وعارفيه وتلاميذه الروحيين.

٤ ـ الطابع المميز في كتابات سعيد فريحه، وتظهر هذه «الطوابع» في ظاهرة «الأنا» والاعتراف والمرأة والالتزام والسخرية وغيرها...

٥ ـ نظرية سعيد فريحه في الصحافة والادب، وهي نظرية تنطلق من نزعة ذاتية تجريبية لتبحث في قضايا الصحافة والادب والحياة. فيطلق الكاتب دستورا عاما للصحافة والصحافيين من ابرز بنوده الالتزام الحر والواقعية المسؤولة والصادقة.

٦ ـ دور سعيد فريحه الكاتب في خدمة القضايا اللبنانية والعربية، اذ يؤكد سعيد فريحه التزامه الثابت بقضايا المجتمع السياسي في لبنان والبلدان العربية ودول العالم.

٧ ـ ان دور هذه الدراسة (الاطروحة) ترجمة حياة سعيد فريحه في نضاله الحياتي والصحافي والادبي مما يدفع القارىء الى التفاؤل بالحياة والى النضال الملتزم في سبيل الحب والحياة والحرية. فقد انطلق سعيد فريحه من درجة «تحت الصفر» من الأمية ليصبح عدة اصفار الى اليمين» [٤]

وتصلح العناصر السابقة كعناوين لمؤلفات عن سعيد فريحه الذي خلق مدرسة صحفية عمادها ان الصحافة ليست كلمات تنتشر على اسطر «وتهبط في اعمدة وتتوزع حول صور». وليست صحافة سعيد فريحه «ارقاما مصبوغة بالحبر الاسود، او الملون، تُطرح مقصوصة في اشكال واحجام مختلفة على الناس».

انها صحافة نابضة «اشبه بالكائن الحي الذي يولد مع بزوغ كل فجر جديد،

مستمدا القوة من دفء الحياة المشرقة، ناقلا الى القارىء صورة متحركة عن الحياة بلونيها الابيض الزاهي المتفائل والاسود القاتم المتشائم.

«لقد عمل سعيد فريحه كل ايام شبابه ورجولته، وحتى آخر يوم من حياته، من اجل المفهوم الصحفي. ولم يودع العالم قبل ان يشيد له صرحا شامخا، بناه حجرا حجرا، دون ان يرث حسابا في بنك او قطعة ارض في سهل او جبل.

«رصيده كان موهبة متفتحة على جمال الكلمة ومدى تأثيرها في العقول والنفوس، وانسانية عذبة ترى الخير في الناس والحياة، وروحا ساخرة تدرك اهمية المرح والابتسامة. يُضاف الى ذلك الهام بمنطق الامور والاشياء، وتمسك بالشجاعة المستندة الى الحق، ووظف رصيده كله في خدمة القراء وحدهم. كانت «الشيكات» التي يوقعها، تحقيقات تنبض بالحياة، ومقالات تشتعل بالوطنية، وجعبا تمتلىء بالادب الواقعي» (٥)

وأثمرت جذوة سعيد فريحه الابداعية «مملكة من القراء تمتد حدودها الى حيث ما وجد قارىء عربي في هذا العالم الشاسع». وتفتخر «دار الصياد» بأنها اقامت «صرحا كبيرا للنشر تصدر عنه اليوم (٦) تسع مطبوعات متفرقة من سياسية ومتخصصة تغزو الاسواق المحلية والخارجية بطباعة انيقة ومواد غنية مميزة، فتروي جمهورا متعطشا للاطلاع والمعرفة في كل الحقول: من السياسة الى المجتمع وما يتفرع عن ذلك من امور تتعلق بالفنون والاقتصاد والرياضة والشؤون العسكرية واخيرا لا آخرا مجلة قيمة تعتني بشؤون المرأة اسميناها «فيروز».

«واني تخليدا لذكرى الرجل الذي اسس الدار، وارضاء لروحه الطاهرة اعاهدكم السير على خطاه، والعمل باقصى ما نستطيع لتحقيق التفوق والنجاح اللذين كان يصبو اليهما. . . .» (٧)

وخلّد لبنان ذكرى سعيد فريحه وسط مصاعب وعقبات عاشها لبنان الوطن و«دار الصياد» كمؤسسة صحفية كان عام ١٩٨٧ احدى ذراها. لكن هذا العام الصعب والمليء بالعقبات والمطبات لم يخل من ايجابيات عمرت بها قلوب العاملين في «دار الصياد» واشاعت في نفوسهم الحبور والاعتزاز بالمؤسسة التي ننتمي اليها خصوصا في مجال التقدير الوطني الشامل الذي صدر تجاه مؤسس الدار وعميدها المغفور له الاستاذ سعيد فريحه.

«وقد كان بداية هذا الفيض من التقدير هو القرار الذي اتخذه مجلس بلدية الحازمية باطلاق اسم سعيد فريحه على الشارع الممتد من مستديرة «دار الصياد» الى اوتوستراد الفياضية والذي كان الى وقت مضى معروفا باسم «طريق الشام القديمة». وسرعان ما اعقبه اطلاق اسم سعيد فريحه على اربعة شوارع في العاصمة بيروت وطرابلس، عاصمة الشمال. وقد تحولت حفلة ازاحة الستار عن اللافتة التي تشير

الى اسم شارع المؤسس الخالد في الحازمية الى تظاهرة وطنية، رعاها رئيس الجمهورية (امين الجميل)...

«وبعد ازاحة الستار انتقل الجميع الى مبنى الدار، حيث اقيم احتفال خطابي، قلد خلاله وزير الاعلام (جوزف سكاف) باسم رئيس الجمهورية السيدة الهام فريحه وسام الارز الوطني من رتبة ضابط، تقديرا منه لصمودها طول سني الحرب الى جانب اسرة الدار.

«واجمع الخطباء الذين توالوا على الكلام على ابراز القيم التي جسدها سعيد فريحه في قلمه وروحه. فكان، كما قالوا، رائدا عملاقا ان لم يكن آخر العمالقة في صحافة القلم الساخر. فقد كان مدرسة تخرج منها رعيل من الصحافيين الكبار، تخرجوا من مدرسته ليؤسسوا صحفا و«دورا» في لبنان وخارجه (.....) [٨]

«واما السيدة الهام، فاذا كان الوسام قد وجد على صدرها مكانا للفخر والاعتزاز، فانه يبقى تقديرا قليلا لسيدة رأت ان مسؤولية العمل هي ساحها فولجتها من دون خوف او وجل في احلك الظروف واصعبها وبرهنت عن كفاية عالية وثقة مميزة مما جعلها تحوز على اكبار جميع عارفيها وتقديرهم» [٩]

ومنح رئيس الجمهورية الى بسام فريحه وسام الارز من رتبة ضابط، «وجرى تقليده الوسام في حفل اقيم في منزله في باريس حيث مثل رئيس الجمهورية فيه السفير فؤاد الترك، الذي القى بالمناسبة كلمة نوه فيها بخدمات بسام في الحقلين الوطني والاعلامي الذي وان ابعدته ظروف الحرب عن لبنان جسديا، فقد بقي معه ومع الدار بروحه وجوارح قلبه في كل دقيقة، يوّظف امكاناته في الداخل والخارج في خدمة بلده من اجل اعادة السلام والاستقرار والازدهار الى ربوعه الحبيبة» [١٠]

يبقى، الى ذلك ومعه، السؤال الاساسي الذي دفع الى وضع هذا الكتاب. وهو سؤال مرتبط، في المقام الاول، بفكرة ولدت في حديث وحوار مكتبي، يحكي الفصل المقبل قصتها كاملة.

محمد عبد المولى الزعبي



الفصل الأول

قصة هذا الكتاب

الزمان: الذكرى العاشرة لوفاة سعيد فريحه .

المكان: مكاتب «دار الصياد» في لندن .

المناسبة: كلمة نشرتها لي «الصياد» يوم الحادي عشر من آذار (مارس) ١٩٨٨ تحت عنوان «رسالة الى سعيد الذكر» .

في ذلك اليوم تبلورت فكرة هذا الكتاب خلال حوار اثرته مع الزميل، صديق العمر، ريمون عطا الله .

كنا في واحدة من جلساتنا الحوارية ـ النقدية المشتركة حين قلت: لا بد من وجود سر، او اسرار، في تمكّن سعيد فريحه من تحويل مجلة «الصياد» الى «دار الصياد» كمؤسسة، في حين فشل البعض من ابناء جيله في هذه المهمة . واعطيت مثلين من جريدة يومية ومجلة اسبوعية . وقلت ان «النهار» نشأت وهي تحمل صفة المؤسسة الوقفية في جزء من ملكيتها . وكونها تحولت الى مؤسسة كاملة الاركان والعناصر فهذا طبيعي لان بذور الصفة فيها . اما المجلة التي ذكرتها عرضاً في ملاحظتي فقد بقيت مجلة فردية ولم تتحول الى كيان مؤسسي رغم قدمها في الصدور .

وامتد الحوار من التخصيص الى التعميم . من المظاهر الفردية في الصحافة اللبنانية الى الظاهرة التي تجسدت في مؤسسات صحفية عملاقة في لبنان، مثل «مؤسسة النهار» و«دار الصياد» .

كنت اسجل على الورق افكاراً نطرحها خلال الحوار، ويدور معظمها حول فكرة

محورية : لماذا وكيف استطاع سعيد فريحه ان ينقل «الصياد» من مجلة تقوم شهرتها على شخصيته وقلمه وسمعته الذاتية الى مؤسسة لم تتأثر بغيابه ، بينما فشل آخرون في تحويل مشاريعهم الفردية الى مؤسسات ودور صحفية تحمل بذور الاستمرارية؟

تملكني السؤال. صار يلحّ عليّ بالاجابة . وصرت ابتعد عن التفكير بتلك الظاهرة لان اية اجابة من جانبي ، مع اجراء دراسة مقارنة ، ستكون لمصلحة طرف دون آخر لا بسبب الانحياز المتعمّد، انما ربما لاسباب عاطفية ونفسية معينة . لقد قضيت فترة تقترب من الاربعة عشر عاماً في احدى المجلات الاسبوعية ، بينما لا ازال في سنتي الرابعة في «دار الصياد» . وعرفت تلك المجلة واسرارها . وادعي انني اعرف «سر المهنة» فيها . اما معرفتي بـ «دار الصياد» فلا تزال حديثة ، وتحول بيني وبين اسرارها وتنظيماتها الداخلية اعتبارات كثيرة ، بينها، اولا، انني عملت في «دار الصياد» عندما بدأت مجلة «الصياد» في الصدور من لندن عام ١٩٨٤ في حين ان الدار الرئيسية ، المركزية، في بيروت . وبينها ، ثانياً ، انني ابتدأت في الدار كمدير لمكتبها في واشنطن ، فابتعدت جغرافياً اكثر فأكثر عن العصب المركزي. وحين عدت الى لندن في آذار (مارس) ١٩٨٦ لاتسلم رئاسة تحرير «الصياد» عملياً ، كان قرار الدار قد سبقني الى نقل طباعة «الصياد» الى بيروت .

وتكشفت لي في هذه النقلة الجغرافية حقائق كثيرة بعد ان خفت مسؤوليتي التحريرية ، واصبحت اقرب الى مصدر القرار في «دار الصياد» ، وتجولت حيث مكاتب الدار منتشرة في ارجاء العالم العربي. واطلعت على افكار وآراء رؤساء التحرير وكبار الاداريين ممن عملوا تحت قيادة سعيد فريحه واستمروا بعد وفاته . لقد اصبحت عناصر الظاهرة اكثر وضوحاً امامي .

صممت على قراءة كل ما كُتب عن سعيد فريحه ، وعزمت على الدخول في مغامرة البحث والدراسة والتدقيق. ولجأت الى الزميل الاستاذ انطوان بطرس مدير مركز المعلومات والابحاث في «دار الصياد». وكتبت له محدداً حاجتي بما يلي:

«لندن ٢٦ - ٧ - ١٩٨٨

عزيزي الاستاذ انطوان بطرس الموقر

يسعدني كثيراً ان اكتب اليك هذه الرسالة قبل سفري الى كندا لقضاء اجازة عمل لفترة شهرين تقريباً .

اقول اجازة عمل لانني قررت وضع كتاب يتعلق بتطور الصحافة اللبنانية ، وبالذات «دار الصياد» . واعتقد يا اخي الكريم انك تستطيع مساعدتي في هذا الموضوع من خلال ما يتوفر لديكم في الدار من مراجع وقصاصات ، سواء كانت جاهزة عندكم او بذكر اسماء المؤلفين .

ان الموضوع ، بشكل عام ، يندرج تحت العنوان التالي: تطور الصحافة اللبنانية من الفردية الى المؤسسة ، مع التركيز على تحوّل «الصياد» الى «دار الصياد» . . .

وجاءني الجواب. مئات الصفحات من القصاصات كُتِبَتْ عن سعيد فريحه و «دار الصياد» . وفي الوقت نفسه، وصلني مغلف اضافي خاص مليء بما كتبه واعلنه سعيد فريحه شخصياً عن «دار الصياد» سواء كان في مقابلة اذاعية او تلفزيونية او صحفية . ورافق كل ذلك رسالة من الاستاذ انطوان بطرس جاء فيها:

«بيروت ، في ١ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٨
عزيزي الاخ محمد.
تلقيت رسالتك تاريخ ٢٦ تموز (يوليو) قبل ان اغادر بيروت الى لندن بيوم واحد (. . .) وقد سررت جداً للمشروع الذي تقوم به ، وآمل ان استطيع افادتك وخدمتك .

وقد اعطيت التعليمات الى ارشيف مركز الابحاث للمباشرة باعداد الملفات التي قد تجد فيها المعلومات التي تفيدك . وارجو ان اوافيك بها تباعاً .

اما بالنسبة للمراجع التي قد تفيدك فاعتقد هي التالية:

١ ـ كتاب سعيد فريحه: «نصف قرن من العطاء» فيه المحطات الرئيسية لتحوُّل «الصياد» الى «دار الصياد» كما فيه المعلومات الاساسية عن الجو الذي عمل فيه سعيد فريحه في مطلع عهد الاستقلال وحتى رحيله .
٢ ـ كراس «دار في سطور» . وهو كراس مفيد، اعد خصيصاً لاحد المعارض. انه مفيد للذاكرة قبل ان يفيد للتوسع .

هذا بالاضافة الى الكتب التالية:

١ ـ الصحافة العربية ، فاروق ابو زيد. مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٨٥ .
٢ ـ الصحافة اللبنانية وقانون المطبوعات. محمد ابو مرعي . بيروت، ١٩٧٣ .
٣ ـ مجموعة قوانين المطبوعات في لبنان . عادل بطرس . بيروت، ١٩٨٠ .
٤ ـ حرية الصحافة في لبنان منذ العهد العثماني حتى اليوم . محمد ابو مرعي . بيروت، ١٩٨٠
٥ ـ مدونة الصحافة العربية، معهد الانماء العربي. تحرير يوسف الخوري . بيروت، ١٩٨٥ .
٦ ـ قاموس الصحافة اللبنانية ، ١٨٥٨ ـ ١٩٧٤. يوسف اسعد داغر ، منشورات الجامعة اللبنانية . بيروت، ١٩٧٨ .

٧ ـ تطورات الصحافة السورية في مائة عام ، ١٨٦٥ ـ ١٩٦٥ . جوزيف الياس، دار النضال، بيروت، ١٩٨٢.
٨ ـ تاريخ الصحافة العربية، الفيكونت فيليب دي طرازي. بيروت، ١٩١٣.
رحت ابحث عن المراجع المذكورة وغيرها في لندن وباريس والعواصم العربية التي ازورها . ولم تكن العملية سهلة في حين ان بيروت، عاصمة المراجع والمعلومات، غير مستقرة على حال وعزيزة المزار. وفي النهاية وجدت بعض المراجع الاضافية لدى اصدقاء .

قرأت ، ودرست ، وسجلت، كل ما وصلني وما وصلت اليه يدي. فازددت قناعة بضرورة تسجيل رحلة الصحافة اللبنانية من الفردية الى المؤسسة ممثلة بـ «دار الصياد». ففي هذه الرحلة نوع من العصامية الفذة ، والعمل الدؤوب، والمثابرة، والتحدي، والتهديد بالقتل والتشريد، والتصميم على المجابهة ، والاستمرار والنجاح والتطور . والى ذلك كله ، فقد كان في هذه العصامية نموذج لعقليات صحفية مبدعة ، خلّاقة ، ولدت وفي فمها ملعقة صاحبة الجلالة السلطة الرابعة ، ثم احترفت المهنة عن ايمان رهباني، تخللته قسوة على النفس، وصلابة في تأييد الحقوق والمطالبة بها ، ونجاحات في معارك الحرية اوصلت العصاميين من اصحاب الصحف الى مصاف النجوم البرّاقة الوهج .

ان عصامية سعيد فريحه في الصحافة نموذجية ، متفردة عن غيرها لانه رافقها وفاء للمهنة ولابنائها ، للوطن ولمواطنيه ، وصاحبها على مدى خمسين عاماً تواضع جمّ رغم علو المقام مهنياً وسياسياً واجتماعياً .

على ان هذه العصامية ليست موضوع هذا الكتاب بحد ذاتها ، لكن لا بد من تسجيل وقائع معينة في حياة سعيد فريحه اصبحت محطات رئيسية على طريق تحويل «الصياد» الى دار تحمل عناصر المؤسسة والاستمرارية والتطور رغم سنوات الحرب العِجَاف في لبنان. وهذا هو التحدي الحقيقي الذي يواجه اصالة التأسيس والتكوين والبناء .

ان دراستي وغرضي لتلك المحطات الرئيسية التي حولت «الصياد» الى دار مؤسسية، يعتمدان على ما بين يدي من مراجع وعلى مقابلات خاصة اجريتها مع العديد من الذين عملوا او عاصروا او عاشوا مع سعيد فريحه . ذلك انني لم اعايش سعيد فريحه في حياته الصحفية ، ولم ارافقه في رحلته الاعلامية الممتدة الى نصف قرن من الزمن . ولقد كنت اميناً فيما كتبته عنه في ذكرى رحيله العاشرة. مرة واحدة قابلته لأتعرف عليه واعرض العمل في «دار الصياد» . وسجلت تفاصيل اللقاء على النحو التالي:

«سعيد فريحه .
استاذنا سعيد الذكر، طيِّبه، عطّر الله ثراك .
عشر سنوات مضت على غيابك .
وعقد من الزمن ما انقطعت ذكراك السعيدة .
عشر سنوات لحظة في عمر الزمن .
وعقد من الماضي تاريخ طويل على الناس ومحبيك .
استاذنا الغائب ـ الحاضر .
هل تذكرني؟
مرة واحدة التقيت بك على موعد في «دار الصياد» .
كان ذلك عام ١٩٦٩ . فقد صحبني يونس الابن لمقابلة «الاستاذ الكبير» ، العملاق الذي عرفته من القراءة بدون ان اتعرف عليه شخصياً .
كان العمل في «دار الصياد» هدفي. لكن لم يكن من السهل عليّ مواجهتك وهالة العملقة تبعدني عن رؤيتك . كنت لي، ولامثالي الشباب في حدائق الصحافة ، طيفاً نحلم بالاقتراب منه .
توقعت في ذلك اللقاء المرتقب ان تطرح عليّ مختلف انواع الاسئلة. ورحت استفسر من يونس الابن، الذي قدمني اليه صديق مشترك يعمل في الاذاعة اللبنانية.، عنك وعن مزاجك، وعن تصرفاتك مع العاملين في مدرستك .
واذكر تماماً انني قلت لواسطتي: انا من قرائه منذ المدرسة الابتدائية ، انني احد المعجبين به . . .
ورد صديقك ومحبك يونس الابن: «انت واحدٍ من ملايين قراء سعيد فريحه المنتشرين ما بين المحيط والخليج . فليس مهما ان تُعجب به ، المهم ان تعجبه . اقترح عليك ان تكتبٍ شيئاً ، وتأتي به معك غداً» .
امضيت الليل كاملاً انحت تلمات عن «الوضع في الشرق الاوسط»، ملأته معلومات وتحليلات وتوقعات. غداً اقف في حضرة العميد، فهو امتحان أُكْرَمُ فيه او أُهَان .
في الدقيقة المحددة كنت اجلس امامك في مكتبك. كنت تضع عباءة عربية على كتفيك . وامام عينيك نظارة بالكاد مسنودة على رأس انفك .
مرت برهة ورهبة السلام بسرعة ، واذا بك تختصر المسافة الزمنية لتجربتي في الصحافة وتسألني: هل معك جديد كتبته؟
قدمت اليك رزمة اوراق. خجلت واحسست أنها ثقيلة المضمون . وخفت انك كفاحص، ممتحن ، لن تحتمل قراءتها إِلى النهاية .
ساد صمت وانت تقرأ كل سطر. عجبتُ، واستغربتُ عميد مثلك يقرأ لتلميذ .

تابعتك عيناي بحثاً عن اي رد فعل على وجهك . كنت انتظر اشارة، حركة ، املاً يريح اعصابي المتوترة .

انت صلب من معدن نادر .

انتهيتَ من القراءة ، فاخترق نظرك اعماقي .

لم تعطني علامة . لم ترفع حاجبيك استغراباً ، ولم تزم شفتيك استحساناً .

سألتني فقط: اين تفضل العمل، في «الصياد» ام في «الانوار»؟

- «الانوار» .

□ لماذا؟

- ان تجربتي الصحفية المتقطعة كانت في جريدة يومية .

وشاء القدر ان يكون المشوار قصيراً لا يتعدى أيام الاسبوع الواحد. والمهم فيه ان الحلم تحقق .

اما التجربة فقد استمرت، وتطورت مع مضي كل كلمة ، ومقال ، وقصة، ظهرت لك في «الانوار» و«الصياد» و«الشبكة». فالانقطاع الروحي بين الاستاذ وتلميذه لم يحدث. كان هناك نوع من التواصل الفكري، واعجاب من طرف واحد لظرف قلمك واسلوبك السهل الممتنع ، وفكرك الثاقب، وجرأتك فيما تعتقد انه حق الوطن والمواطن من المحيط الى الخليج .

سعيد الذكر، استاذنا العملاق .

افتقدناك في امور كثيرة .

افتقدنا اسلوبك اللاذع ، وقصتك المثيرة .

افتقدنا خبرك السياسي ونكهته الخاصة .

افتقدنا ابداع تعليقك بجملته القصيرة، الهادفة .

افتقدنا ريشتك المتفردة الالوان .

وفوق ذلك ، افتقدناك كما نفتقد لبنان تماماً . فأنت والوطن علامتان بارزتان في اشراقة لبنان الحضارية ، اعطتا بدون تردد، وبسخاء قلّ نظيره ، فاستحققتما كل الحب والوفاء» .

وليس ما اعطاه سعيد فريحه الى وطنه لبنان والى امته العربية موضع تساؤل او تشكيك . فهذا الرجل من الرعيل الذي كان له فضل تعريف العرب بلبنان وادخال لبنان الى العالم العربي من الابواب الواسعة . فسعيد فريحه لم يكن مجرد صحفي محترف لصناعة الكلمة ، بل كان الى ذلك شخصية وطنية احبت لبنان وتمسكت بهويته العربية .

ويثور سؤال حول كيفية دراسة تطور اي صحيفة لبنانية من مشروع فردي يعتمد على شخص الى مشروع مؤسسي يعتمد العقل الجماعي، قراراً وتخطيطاً وتنفيذاً .

ذلك ان في منطقة الشرق الاوسط تختلط الامور كثيراً بين ما هو فردي، وبين ما هو جماعي. وخيط الحدود رفيع وشفاف وحساس بين الخاص والعام. «فالدولة انا وانا الدولة» هي صيغة استعارها ملوك فرنسا من العرب. وتنطبق على علاقة رب العائلة بعائلته، ورب العمل بعماله، والمستثمر بموظفيه، والحاكم بمحكوميه.

وفي الستينات تخطى سعيد فريحه قاعدة «الدولة وانا». شب ابناؤه الثلاثة، عصام وبسام والهام، وتخرجوا من الجامعة، واحترفوا المهنة، فحدد وظائف كل واحد منهم بما يتفق وشخصيته وميوله واختصاصه وتجربته في الدار ذاتها بعد ان بدأت تكبر من مجرد مجلة «الصياد» الى شقيقتها «الشبكة»، عام ١٩٥٦، والى زميلتها «الانوار» اليومية، عام ١٩٥٩.

لم يكن ما اقدم عليه سعيد فريحه سوى تطبيق عملي لواقع عاشته «دار الصياد» منذ عام ١٩٥٤ عندما شيّد دارها الجديدة في الحازمية في تلك السنة. ولم يكن قرار تقسيم المسؤوليات خروجاً على التطور الاداري الذي شهدته المؤسسات اللبنانية في عقد الستينات. ويسجل لسعيد فريحه انه زرع في ابنائه روح الجماعة خلافاً لنظرية الفردية السائدة في المنطقة. ويسجل له ايضاً انه «عصرن» الدار، قراراً وادارة ومبنى ومعدات. ويسجل عليه انه لم ينقل «الدار» من المؤسسة العائلية الى المؤسسة السهمية. وهذا الانتقاد يوجهه الذين يرمون «دار الصياد» بنظرات سطحية مستعجلة بدون اخذ ظروف لبنان التي عطلت امكانية تنفيذ اي قرار من ذلك القبيل. ولا تزال ظروف لبنان الاستثنائية تعطل صياغة هذا القرار بشكله النهائي وبلورته في واقع عملي كما يقول مدير عام «دار الصياد» بسام فريحه.

ان استقلال لبنان و«الصياد» توأمان. وهذه حقيقة تاريخية تؤكدها شهادتا ميلاد الاستقلال و«الصياد». وقد اطلق البعض على صحافة ما بعد الاستقلال اللبناني اسم «صحافة الاستقلال» تيمناً بمجلة «الصياد» التي ترعرعت ونمت وكبرت في ظل الاستقلال. وكما كان الاستقلال مرحلة جديدة في تاريخ لبنان، فقد سجلت «الصياد» مرحلة جديدة في تاريخ الصحافة اللبنانية.

١ - جاءت بجديد مبتكر من حيث الشكل والمضمون، ومن حيث الاسلوب والمعنى والهدف.

٢ - خلقت «الصياد» تحدياً صحفياً لدى الآخرين.

٣ - صار ابناء المهنة يحاولون تقليدها.

٤ - صارت «الصياد» محط انظار الصحفيين للعمل فيها.

هذه الحقائق تفرض سؤالاً: كيف يمكن دراسة تطور «الصياد» من مجلة الى دار أو مؤسسة؟

هل نلجأ الى الوقائع التاريخية بترتيبها الصارم والجاف، ام نقوم بعملية تحليلية

لمسيرة «الصياد» ومضمونها؟ هل نستعرض تاريخ حياة سعيد فريحه ، ومراحله ، ام نحلل مقالاته وتطورها اسلوباً ومضموناً؟

اولاً ، ان تاريخ حياة سعيد فريحه كتاب مفتوح ويستطيع ان يطلع عليه كل من يريد ان يقرأ قصة ممتعة ، لا ينقصها عنصر التشويق في كل جملة وفصل .

ثانياً ، لم يخبىء سعيد فريحه ، في حياته كلها ، سراً خاصاً له علاقة بحياته الشخصية ، او عاماً يرتبط بحياته المهنية الممتدة على مدى نصف قرن .

وتفرض الحقيقتان السابقتان دراسة تطور «الصياد» الى دار بالاستناد الى الوقائع، التاريخية بقدر ما يظهر فيها من زوايا تحليلية ، بشرط ان تكون هذه الوقائع فواصل حاسمة في مسيرة التطور والتحول من مجلة الى دار . وتحتاج هذه العملية الى الاعتماد على النصوص وتحليلها . وهذا منحى ذهب اليه المؤلف جوزف الياس فكتب «الصحافة العربية بحاجة الى اجراء دراسة تحليلية معتمدة على نصوصها بالذات، مع دراسة الاطار السياسي والاجتماعي والنفسي لهذه الصحافة ، ومراعاة تأثراتها وتأثيراتها ، لا سيما في ظروف المجتمع العربي الراهن التي فيها للصحافة العربية اثر كبير» .[1]

على ان النص وحده قد يكفي في حال كانت الدراسة عن مطبوعة معينة او عن فكر سياسي او اقتصادي او ادبي او اجتماعي لكاتب ما . أما وان البحث متعلق بصفات وخصائص شخص وبما وضعه من ركائز لتحويل مجلته الى دار مؤسسية تحمل عناصر الاستمرارية ، فالعملية تحتاج الى اكثر من النصوص تحتاج الى الغوص الى اعماق الاسباب التي دعمت اتجاه سعيد فريحه وخططه في تحويل «الصياد» الى دار . وهذه مهمة عارفيه ومعاصريه ومعايشيه والذين عملوا معه عن قرب. فلجأنا الى نماذج معينة منهم في اسئلة متعددة تدور حول محور اساسي، فاكتشفنا في سعيد فريحه ما لا يمكن ان توحي به النصوص، وما لا تقدمه المحطات التاريخية البارزة في عملية تحول «الصياد» الى دار .

وقبل الدخول في تلك الحوارات والتفاصيل والوقائع فان مقتضيات الحقيقة توجب تسجيل كلمة حق في عمالقة كتبوا عن عملاق في ذكراه العاشرة، فبادلوه ما كان يؤمن به خلال مشواره الصحفي الطويل .

في تلك الذكرى كتبنا عمن كتبوا فسجلنا ما يلي:

« عمالقة الكلمة والقلم في العالم العربي سجلوا باحرف من نور كلمات الحب والوفاء والصداقة والعرفان ذكرى غياب سعيد فريحه العاشرة .

ثلاثة عمالقة دانت لهم الكلمة ، واستوعبت اقلامهم تيارات الفكر العربي المعاصر، سطروا بأنقى التعابير واصدقها ، مناقبية عبقري من بلادي اثّرت عصاميته واستاذيته في كل واحد منهم .

ثلاثة من كبار الكتاب، كتبوا للوفاء في وقت عزّ العرفان للجميل، وكتبوا للحب في زمن ضاع في ماديته معنى الجمال، وكتبوا للزهر العطر في عصر لم يعد فيه العبير يفوح وينشر اريجه من حوله .

كتبوا عن سعيد فريحه الوفاء والحب والصداقة .

سعيد فريحه كان كل ذلك، واكثر، عند مصطفى امين ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين

سعيد فريحه في محنة الرجال صديق صدوق، وفيّ، شهم .

كتب مصطفى امين في ذكرى سعيد فريحه العاشرة عن رسالة وجدها بين اوراقه ، كان صاحب الذكرى وجهها الى علي امين وهو في لندن . وفي رسالته الى علي امين، المؤرخة في ٢٤ يوليو - تموز ١٩٦٥ ، ذكر انه قرأ وقف «فكرة» في «الاهرام» ، وايقاف مرتب الصديق في غربته اللندنية ، فاتخذ الموقف والقرار تحت ما اسماه واجباً اقدس .

خطت يده: «رأيت من اقدس واجباتي ان اعبر عن عاطفتي نحوك في هذه المحنة ، فارسل اليك ابتداء من الشهر المقبل مبلغ ستمائة جنيه شهرياً ، على ان تسدد لي الحساب فيما بعد، بالطريقة التي لا تضايقك ابداً ، واكون شاكراً وممتناً جداً لو سددته مقالات و «فكرة» . ارجو ان لا ترفض لان الرفض سيقابله اصرار مني . واسلم لاخيك سعيد فريحه» .

في كلمات قليلة ، قال سعيد فريحه كل شيء في صديقه علي امين، وعبر عن موقف. لم يجرح شعور صديق. اعطاه شحنة نفسية لكتابة مقال و «فكرة» .

وعلق مصطفى امين على مضمون الرسالة فقال «في الذكرى العاشرة لرحيل سعيد فريحه ، هذا هو سعيد فريحه صديق الشدة ورفيق المحنة ، كان المارد الذي تنشق عنه الأرض ويتصدى ولا يخاف، يحارب معارك الآخرين اذا آمن ان ظلماً وقع عليهم، يتلقى الطعنات نيابة عن صديق .

«مرّت الآن عشر سنوات على وفاة سعيد فريحه ، ولا استطيع ان انساه» . لقد ملك قلب مصطفى امين .

محمد حسنين هيكل، مرّ بمحنة مشابهة، ففتح له سعيد فريحه ابواب «دار الصياد» . انها مسألة مبدأ لا زيادة ولا نقصان . قتال وثبات من اجل المبدأ ، حتى ولو جلبت له مقالات محمد حسنين هيكل مشاكل كان في غنى عنها ، وخير في كثير من الاحيان ، فاختار ووقف مع اختياره بغير شكوى وبغير ندم .

كلمات عن فروسية سعيد فريحه سجلها محمد حسنين هيكل في مقدمة كتاب جديد له احب ان يكون الاهداء فيه «الى ذكرى صديق كان له فضل الحفاوة بما

كتبت في تلك الفترة العاصفة ، واقصد به الصحفي اللبناني الراحل الاستاذ سعيد فريحه صاحب ومؤسس «دار الصياد» .

«واليوم وهذه الصفحات تطبع وتنشر في مصر، فإنني اتمنى لو استطعت تحويل حزمة الورق الى حزمة زهر أضعها على قبره . . . اعترافاً بالفضل والمحبة. . . » .

احمد بهاء الدين كتب عن جوانب اخرى في شخصية سعيد فريحه .

«كان سعيد فريحه اكبر الاسماء في عصره في الصحافة اللبنانية، وبالتالي في بلاد عربية كثيرة . كان ولا زال صاحب ومؤسس مدرسة في الكتابة الصحفية لم يلحقه فيها احد» .

غاب سعيد فريحه قبل عشر سنوات، وقرأ احمد بهاء الدين ان مدناً لبنانية بدأت اطلاق اسمه على شوارعها ، «وسعدت للبنان. قلت لنفسي اذن ما زال في لبنان ، من يؤمن بدور سعيد فريحه . . . ومن يقدر معنى ومغزى سعيد فريحه في لبنان ، لا بد من ان يكون من انصار الحب في لبنان ، وحب لبنان . كان سعيد فريحه رمزاً للحب» .

مصطفى امين ،

محمد حسنين هيكل ،

احمد بهاء الدين ،

غنيتّم الحب والوفاء والصداقة في عظمة سموها في شخص سعيد فريحه ، واعدتم الى الذهن عشقاً عذرياً للوطن لم يستطع غير قلم سعيد فريحه تجسيده في كلمات ومواقف .

عمالقة أنتم وكبار، ذكرتم عملاقاً وكبيراً في ذكراه العاشرة، وكتبتم عن فضائله كما لم يكتب من قبل .

اوفياء انتم . اديتم امانتكم بمحبة الاصدقاء المخلصين .

كلماتكم نهديها الى جيل يبحث عن قيم تائهة ، لعله يجد فيها وفي ما كتبه سعيد فريحه ضالته المنشودة» .

وفي عودة الى «فكرة» في صحيفة «الاخبار» القاهرية ، حول المساعدة التي قدمها سعيد فريحه الى علي امين، مصطفى امين يقول «هذا هو سعيد فريحه صديق الشدة، ورفيق المحنة . ما صادفت ازمة او تعرضت لمتاعب، حتى وجدت الارض تنشق ويخرج منها سعيد فريحه . يتصدى للظلم الذي تعرضت له ، ولا يخاف غضب الظالمين . يحارب معاركي ولا يهمه اذا انتصرت فيها او هزمت . . يتلقى الطعنات عني ويقف صامداً بجانبي. ولقد اسرع سعيد فريحه يوماً لنجدة علي امين وقد اعلنت الحكومة الحرب عليه ، وانهالت الاكاذيب تشوّهه وتمزقه . وتصور بعض الناس اننا انتهينا ولن تقوم لنا قائمة . ونشر جو من الرعب يهدد اصدقاءنا بالويل والثبور اذا

قالوا كلمة حق دفاعاً عنا ، او اذا نطقوا باسمنا . ونحمد الله اننا كسبنا في تلك الايام اصدقاء اكثر كثيراً مما كان لنا من داخل مصر ومن كل بلد عربي .

ولكن سعيد فريحه كان اولهم ، وكان يطير من بيروت الى القاهرة خصيصاً ليقابلني في السجن . وكان هذا اللقاء المتكرر يتم بعد جهود جبارة ، وكان سعيد يهرّب لي مقالاتي وقصصي التي كنت انشرها في جرائده بامضاء الصحفي المصري «X» . واذكر ان الرئيس عبد الناصر قال له انه يقرأ هذه القصص ولكنه لم يسأله من هو الكاتب . وحدث ان سأله امير الكويت عن اسم كاتب القصص فقال انه اكرم زعيتر الوزير الاردني والكاتب الكبير المعروف. وكانت الدولة قد حرمتني من الورق والقلم وسمحت لي بان اكتب لابنتي خطابين في الشهر بشرط ان لا يزيد حجم الخطاب عن نصف ورقة فولسكاب، وبشرط ان اكتب الخطابات في غرفة ضابط عنبر السجن وتحت مراقبته .

وبفضل سعيد فريحه ومدير مكتبه في القاهرة سليم ابو الخير كنت اكتب مئات الرسائل والقصص والمقالات .

وقد حصل سعيد فريحه من الرئيس عبد الناصر على وعد بالافراج عني. ولكن بعد وفاة الرئيس لم يعترف رجاله بهذه الوصية ، فما كان من سعيد فريحه الا ان نشر في جريدته «الانوار» القصة كاملة . وصودرت اعداد «الانوار» في مصر حتى لا يعرف شعب مصر الحقيقة المحبوسة [٢].

مرّت الآن عشر سنوات على وفاة سعيد فريحه ولا استطيع ان أنساه ولا ان انسى كل الذين وقفوا معي في محنتي .

كل واحد منهم ملك قلبي» .

«مقدمة» ـ محمد حسنين هيكل: في مقدمة كتابه «لمصر . لا لعبد الناصر» الصادر في القاهرة ، كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل:

«هذا الكتاب اهديه الى ذكرى صديق كان له فضل الحفاوة بما كتبت في تلك الفترة العاصفة، واقصد به الصحفي اللبناني الراحل الاستاذ سعيد فريحه صاحب ومؤسس «دار الصياد» .

«لقد جلبت له مقالاتي، وبينها ما يحتويه هذا الكتاب، مشاكل كان في غنى عنها ، وخيّر في كثير من الاحيان فاختار، ووقف مع اختياره بغير شكوى وبغير ندم .

«واليوم وهذه الصفحات تطبع وتنشر في مصر فإني اتمنى لو استطعت تحويل حزمة الورق الى حزمة زهر اضعها على قبره . . . اعترافاً بالفضل ومحبة (. . .) .

«سبع سنوات من قتال شديد، كان هذا الكتاب هو الطلقة الاولى فيها من جانبي على الخطوط، وبعدها تزايد القصف المتبادل حتى وجدت نفسي في النهاية وراء

قضبان سجون «طرة» في سبتمبر ـ ايلول سنة ١٩٨١ مع كثيرين غيري لم يجدوا مفراً امامهم عند نقطة فاصلة من تاريخ مصر، غير حمل السلاح ، بالموقف والقلم والكلمة ، والدخول الى ساحة المعركة(. . .) .

«لا اقول اكثر من ذلك في التقديم لصفحات كتبت من اجل خاطر مصر، وليس من اجل خاطر «جمال عبد الناصر»، وانما ادعو القارىء ان يتفضل الى قراءتها منشورة دون تغيير حرف واحد على النص الأصلي لها ـ وان كنت في بعض المواقع قد اضفت بعض الهوامش على هامش النص الأصلي وحينما وجدت ذلك لازماً ومفيداً . . .

«ولقد نشرت هذه المقالات ، ايامها ، خارج مصر. لانه لم يكن امامي وقتها مجال في مصر. وفي كل الاحوال فلست واحداً من الذين يعترفون بوجود خطوط حدود اقليمية على ارض الامة العربية . ولم تزعجني كثيراً تهمة الاساءة الى مصر خارجها ، وقد بدأ توجيهها اليّ في تلك الأيام . فلقد كنت اعرف في صميم قلبي انني بما اكتب لا اسيء الى مصر، وربما قلت بغير ادعاء ان يقيني كان عكس ذلك».

«مقال ـ احمد بهاء الدين ـ جريدة «المساء» القاهرية:

«كان سعيد فريحه اكبر الاسماء في عصره في الصحافة اللبنانية ، وبالتالي في بلاد عربية كثيرة . وكان، وما زال، صاحب ومؤسس مدرسة في الكتابة الصحفية لم يلحقه فيها احد .

وكانت صحفه ، الصادرة عن «دار الصياد» التي اسسها ، عربية وقومية لحماً ودماً في كل الظروف. وهو ابن ثورة الاستقلال اللبناني وميثاق ١٩٤٣ ، وتلميذ رياض الصلح . . . أيام الوطنية الصافية والانتماء العربي السليم .

غاب سعيد فريحه منذ عشر سنوات .

وقرأت ان مدينة بيروت قررت اطلاق اسمه على احد شوارعها الكبيرة .

علمت ان مدينة «شتورة» قررت اطلاق اسمه على شارع آخر فيها .

وسعدت ، لا لسعيد فريحه ، فاسمه محفور في تاريخ الصحافة والوطنية اللبنانية واصدقائه وقرائه وتلاميذه الكثيرين في انحاء العالم العربي. . . ولكنني سعدت للبنان . قلت لنفسي: اذن ما زال في لبنان بعد كل ما اصابه من تمزق ودمار واقتتال، ما زال فيه من يؤمن بدور سعيد فريحه او «مغزى» سعيد فريحه في لبنان . ومن يقدّر معنى ومغزى سعيد فريحه في لبنان ، لا بد ان يكون من انصار الحب في لبنان ، الحب في لبنان بين الفئات والطوائف . الحب الذي هو ضد الكراهية والاحقاد والخصومات والضغائن . فقد كان سعيد فريحه رمزاً للحب الذي يعلو على كل هذا . ولو اردنا ان نلخص حياته ورسالته فلا يلخصها الا تلك الكلمة وهي هذا الحب .

ولكن اي بيروت واي شتورة . . . الآن؟

كان عاشقاً لبيروت ، عاشقاً لشتورة ، ينتقل بينهما. هما لديه حدود الدنيا بأسرها . في بيروت يطل عليها من فوق عمارة الصياد حيث كان مكتبه ومسكنه معاً . وفي شتورة التي عشقها عشقاً خاصاً ، اقام بيتاً جميلاً ، وحديقة غناء ، طالما سافرنا لكي نقضي معه فيها سحابة يوم مشمس او الجزء الأكبر من ليل جميل .

وكان عشقه الثالث هو القاهرة . يأتينا فنسهر في رحابه ، في جناحه في احد الفنادق المطلة على النيل. فنحن ضيوفه وفي بيته سواء كنا معه في بيروت او شتورة او القاهرة .

لعل ان يكون في اطلاق اسمه بعد عشر سنوات، في بيروت وشتورة ، جذوة امل، للذين احبوا لبنان من أهل لبنان ومن غير أهل لبنان» .



الفصل الثاني
الصحافة صناعة معقدة

اختلف الاختصاصيون والخبراء والسياسيون والادباء على تعريف الصحافة وان اتفقوا على القول ان الكلمة مشتقة من صحيفة. والاشتقاق لا يعني وحدة المفهوم، او تحديد الوظيفة في اطار تعبيري معين. وقد يكون هذا الخلاف لمصلحة الصحافة حتى لا تتكبل وراء جدران الاطر الجامدة. وطالما انها منطلقة خارج دوائر وتحديدات وتعاريف جامدة، تبقى حيوية ونامية ومتطورة.

ان التعريف التقليدي للصحافة انها «فن رواية الاخبار ونشرها على الناس» اما اليوم فالصحافة اوسع من ذلك بكثير. فهي كبرت ونمت افقيا وعموديا، واصبحت صناعة متكاملة العناصر، واصبحت علما قائما بذاته له اصوله ومدارسه ومعاهده. ولحقها التطور اكثر مما لحق بعض العلوم الاخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النبات وغيرها من العلوم التي لا تصلح كأداة تأثير على الرأي العام. ان الصحافة اكثر العلوم الانسانية سلطة واخطرها شأنا وابعدها مدى في عملية بلورة وتشكيل وتكوين الرأي العام. والصحافة لا تزال اهم الوسائل الاعلامية تأثيرا لانها تخاطب العقل بينما يخاطب التلفزيون البصر وتخاطب الاذاعة السمع.

قيل ان الصحافة هي السلطة الرابعة في الدولة. واذا لم يكن هذا التحديد رمزيا لابراز مدى اهمية الصحافة، فانه يجعل الصحافة جزءا من علم السياسة، تابعا له.

وقيل ان الصحافة هي «فن تأريخ وقائع الحياة اليومية وعرضها كما هي والتعليق على الاحداث بروح علمية واقعية بحتة» [1]. وهذه وظيفة من اختصاص علماء التاريخ والنقاد الادبيين والمصلحين الاجتماعيين.

وحدد الدكتور محمود عزمي، وكان من اقطاب الصحافة المصرية، مفهوم الصحافة قائلا: «انها وظيفة اجتماعية، مهمتها توجيه الرأي العام عن طريق نشر

المعلومات والافكار الخيرة الناضجة، مفعمة ومنسابة الى مشاعر القراء من خلال صحف دورية». وهذا جانب واحد من وظائف الصحافة، جانبها كمفهوم عام.

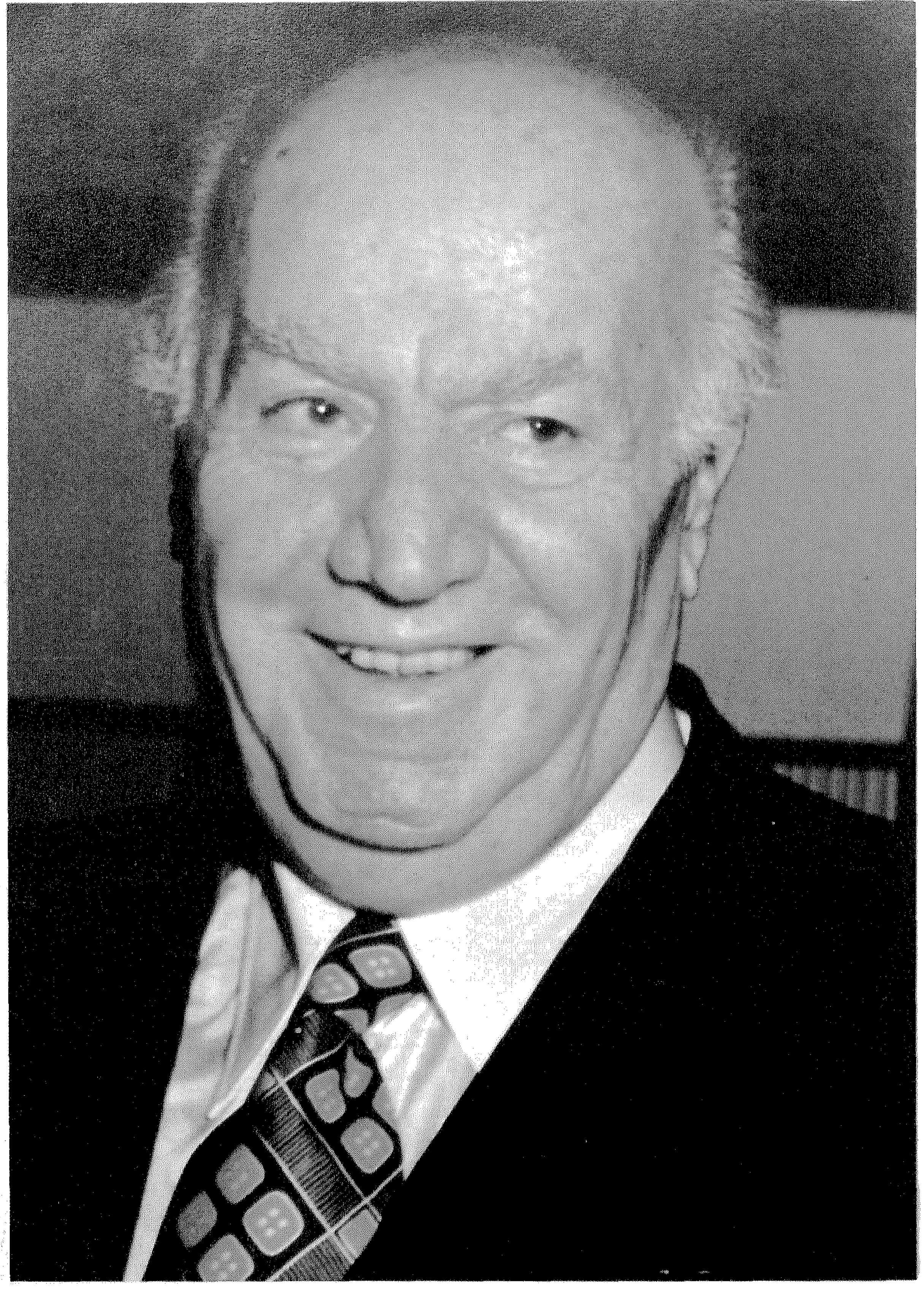
ولحقت الصحافة كعلم تطورات تقنية ابتكرتها تكنولوجية القرن العشرين، ولم يتوصل احد بعد الى تعريفها استنادا الى هذه التطورات. لقد حاول ويكهام ستيد، عميد الصحافة البريطانية، ان يدخل التطورات التقنية المعاصرة في تعريف الصحافة، لكن ادخاله لها كان بطريقة العشق الصوفي حين قال: «ليست الصحافة حرفة كسائر الحرف، بل هي اكثر من مهنة. وهي ليست صناعة بل طبيعة من طبائع الموهبة، وهي شيء بين الفن والعبادة. والصحفيون خدم عموميون غير رسميين، هدفهم الاول العمل على رقي المجتمع».

وفي الوطن العربي يختلفون على ما اذا كانت الصحافة مهنة ام رسالة وطنية. وثمة من يقول «ان الصحافة ليست مهنة، بل رسالة وطنية، تستمد مواد موضوعاتها من كل ما يتعلق بالانسان، والمجتمع والوطن». وهذا رأي وليس حقيقة علمية طالما ان صاحبه فصل المهنة عن الرسالة الوطنية، وفصل المهنة عن مكوناتها الاساسية، مازجا، وغير مفرق بين الرسالة الوطنية والالتزام للمهنة. والصحافة، على حد تعبير سعيد فريحه، «واذا جاز لي تعريفها، قلت بالاضافة الى كونها موهبة، وعلما وثقافة وارهاقا في مأتم القلب، فهي ايضا فن وذوق وشجاعة ادبية وايمان بالحق وثبات على المبدأ. وهي قبل كل هذا اخلاق» (٢).

ويقول رياض طه (٣) ان الصحافة ليست رسالة او اداة خدمة عامة وحسب، انما هي، كذلك، صناعة وتجارة، انها مؤسسات ترتبط بمصيرها الوف الاسر، وتشكل فعالية اقتصادية وانتاجا وطنيا. وما دامت الدولة مسؤولة عن تشجيع الصناعة وحماية التجارة وتطوير الزراعة وتنشيط السياحة، فعليها ان تكون، كذلك، مسؤولة عن اكتفاء الصحافة ونموها (٤).

والصحافة ليست نقيض الحكومة او الرقيب الوحيد على اعمالها. اذ لو اقتصر الامر على انها النقيض لكانت الصحافة سلبية الوظيفة والمهام، ولو اقتصرت على الرقابة لحصرت وظيفتها على التربص بالحكم واصطياد اخطاء الحكومة. وحين فضل جيفرسون، الاميركي، «وجود صحافة بدون حكومة على حكومة بلا صحافة» لم يقصد ان يلغي واحدة على حساب الثانية. فهو اراد ان يعطي الصحافة وظيفة اوسع من مجرد رقابة الحكومة، ورفض ان يساويها بفن الحكم الذي هو جزء من علم السياسة (٥).

الصحافة فن صناعة الكلمة ونشرها. هي فن لانها تحمل معنى الخلق والابداع. وهي صناعة لانها مهنة متطورة اقتحمتها تكنولوجيا العصر. ولا فائدة في صحافة، لا تلحقها وظائف النشر والتوزيع والاعلان والعلاقات العامة بأوسع معانيها.

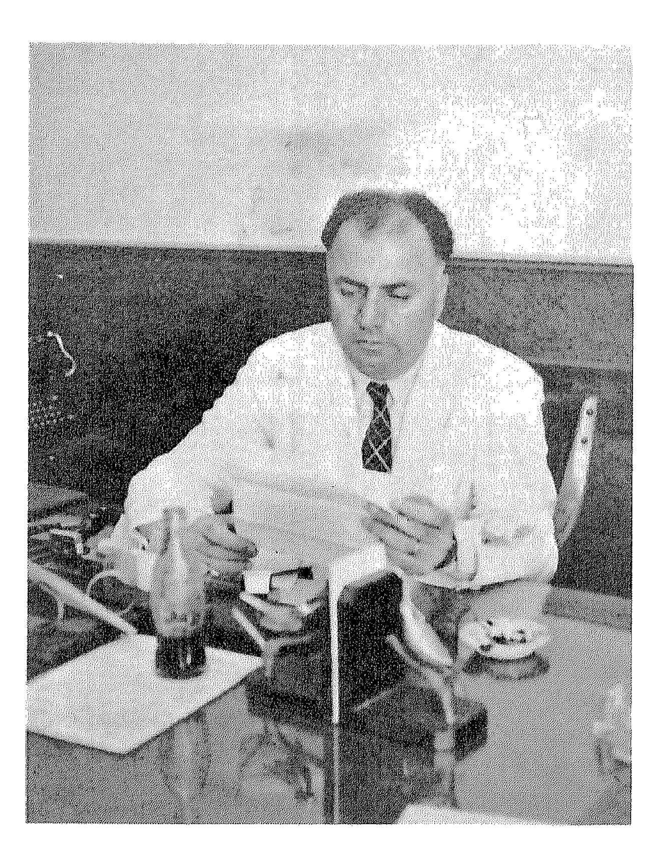


سعيد فريحه

عزيزي انطون

اخذت رسالتك ثم برقيتك، والآن فاتورة دار الهلال عن
جنيه من عبد الحميد، وفي الاسبوع [illegible] واعتقد ان دار
فخذ موقتاً .. بتسديد الباقي [illegible] قيمة الاشتراك" ببلغ [illegible]
العدد الممتاز اقول: وطلب منه ان ينبغي [illegible] قد [illegible] الاجر [illegible] الاجرة
المقبل تأتي تجيب لك [illegible] جنيه [illegible] ان تدبر الاجر [illegible] كل الاسبوع ...
الهلال لا تقانع اذا لبقي [illegible] اذا لم تتفق [illegible] ندفع هنا كل [illegible] محمد الكبير
منذ البداية [illegible] انك تجربها [illegible] بأننا [illegible] ولكن [illegible] عاماً بعد عام
٥٠٠ جنيه [illegible] واعتقد [illegible] سهيل [illegible] ان نفكر جدياً [illegible] الاساس
الاعلانات والمبيع لنصيب لك، [illegible] وجب الاجرة ... [illegible] محلية
الشحنة من ١٥٠٠ ليرة [illegible] وشكلك ... ولهذا ما عدا [illegible] الآن. واعتقد بانها ان لا
ثم يضاف الى ذلك الف [illegible] عنه [illegible] في الحضر [illegible] باتفاقنا لنا
مشروع الشركة الذي [illegible] انتقال [illegible] بتأخير في الطبع [illegible] الفراغ [illegible] زاوية
في العملية، واذن فانا [illegible] هناك تأخير [illegible] وحتى [illegible] "البرواز" [illegible] أو
ناجحة شركة ان لا يكون [illegible] من [illegible] "البرواز" [illegible] البرواز ...
يكون [illegible] الدار الجديدة [illegible] الدار [illegible] في حالة عدم توفيقنا
دار الهلال يجب ان تحذف [illegible] باجراء تعديل بسيط [illegible] في حالة [illegible]
[illegible] على هذا التغيير [illegible] صفحة اخيرة [illegible] وعند [illegible] ان
صفحة اخيرة [illegible] تقدر الحذف [illegible] الى بيروت [illegible] اليك [illegible]
تلغو البرواز نفسه [illegible] اذا رجعنا الى بيروت [illegible] ومطبعة [illegible]
في مشروع الطبع [illegible] ولكن قبل ان نرجو [illegible] لنا [illegible] العدد [illegible] المقبل
عندئذ [illegible] يستعداد [illegible] فليبث عندنا [illegible] العدد [illegible] هذا العدد [illegible]
يجيب لك على [illegible] جداً هنا [illegible] تتوافق [illegible] ومسك [illegible] الاعداد
كان [illegible] العدد [illegible] سيكون [illegible] انتظر [illegible] الك [illegible] الملف
[illegible] سعيد

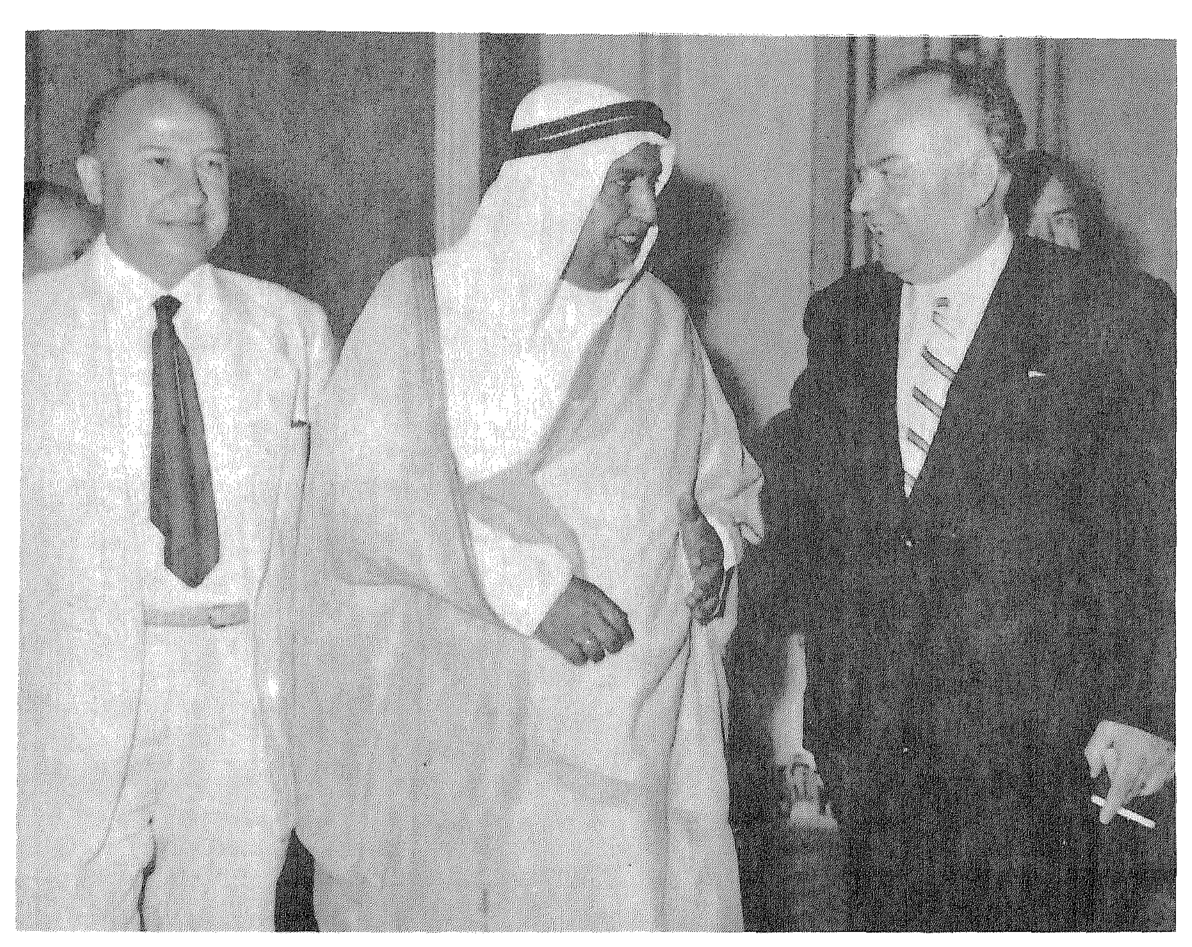
نموذج من خط يد سعيد فريحه



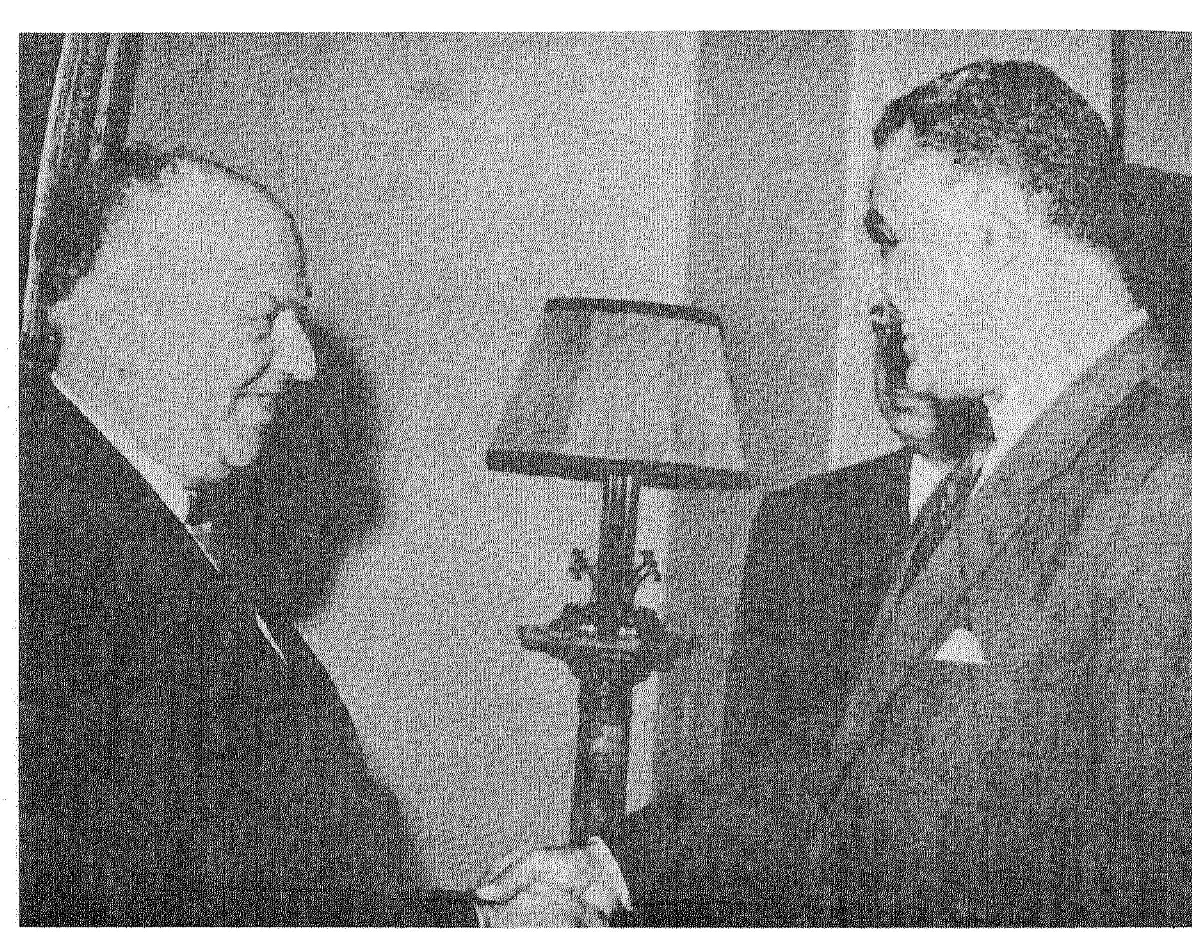
سعيد فريحه
في مرحلة إصدار
مجلة «الصياد»



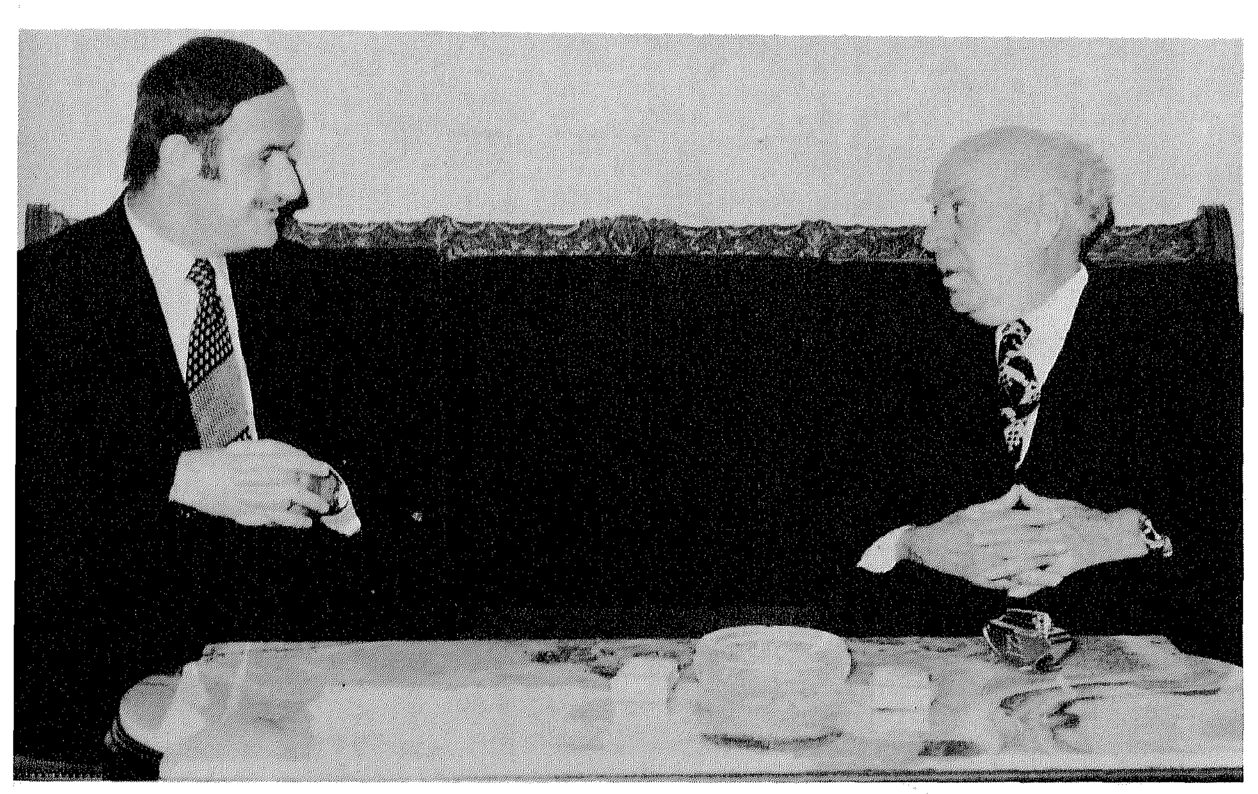
الغلاف الاول
لمجلة «الصياد»



مع امير الكويت الاسبق صاحب السمو الشيخ عبدالله سالم الصباح



مع الرئيس جمال عبد الناصر



مع الرئيس حافظ الأسد



سعيد فريحه وبصحبته بسام في لقاء مع الرئيس السادات



سعيد فريحه محاط بولديه في باكورة عملها في دار الصياد. عصام الى يمينه وبسام الى يساره

والصحافة الحديثة تحولت تدريجيا الى صناعة متكاملة الحلقات. فيها ربح وفيها خسارة. فيها علاقات تجارية ومالية متشابكة مع البنك ومصنع الورق ومصنع الحبر وشركة النقل وشركة التوزيع. ان السعي وراء الربح حق مشروع في كل عمل تجاري وفني [٦].

ولا يختلف اصحاب الدور والمؤسسات الصحفية، ومهما كانت دوافعهم الوطنية والقومية، على وجوب الموازنة بين الايرادات، والمصروفات. كما لا يختلفون على ضرورة المنافسة في الخدمة الاعلامية وسعة التوزيع والانتشار الضخم محليا واقليميا وعالميا في حال سمحت الظروف السياسية والمالية بذلك.

ان تلك العوامل هي التي ادت الى تصنيع الصحافة. والاعتبارات المادية للصحافة كصناعة تتغلب، وفي احيان كثيرة، على الوظيفة الاعلامية وعلى رسالة الصحافة التثقيفية والتوجيهية، فالمادة اداة التطوير الصناعي. وهذا لا يعني ان قيمة الصحافة المعنوية والفكرية وقوتها السياسية والاجتماعية بدأت تتعرض للخطر. ان دخول العنصر التجاري الى الصحافة، بما فيه من ربح وخسارة، لا يعني التقليل من قيمة الصحافة بشرط الموازنة بين الارقام والاحصاءات الحسابية من جهة وموضوعية الاخبار والمقالات والتحقيقات والابحاث والدراسات من جهة ثانية.

ان الموازنة بين الارقام والمقالات ضرورية وهامة، ويضعها كل صاحب مؤسسة اعلامية في حساباته اذا اراد لمشروعه ان يستمر وان يتطور. وهذه الحقيقة شغلت حيزا من تفكير مؤسس مجلة «الصياد» في السنوات الاولى لنشره مجلته التي وقفت ونافست وانتشرت بجهد شخصي في الاربعينات. وحين نقل سعيد فريحه طبع «الصياد» الى القاهرة في عهد الحكومات الوطنية بعد الاستقلال بخمس سنوات، اراد ان يحقق هدفين في آن واحد. فقد اراد، من جهة، ان يتم طبع «الصياد» على آلات حديثة لا توجد مثلها في لبنان بعد، اي انه اراد مواكبة تطور الالات الطباعية. واراد، من جهة ثانية، ان تخرج «الصياد» بشكل يواكب التطور في الاخراج الفني الذي سبقت مصر فيه لبنان في عقد الاربعينات.

لجأ سعيد فريحه الى «دار الهلال» لتحقيق مبتغاه، الطباعي والفني. وارسل الى هناك من بيروت انطون متري للاشرافّ على العمليات الطباعية والاعلانية والتوزيعية وعلى الشحن من مصر الى لبنان وبقية الاقطار العربية المستقلة في تلك المرحلة. وكانت المواد التحريرية تنتقل من بيروت الى القاهرة بينما احتفظ سعيد فريحه بمركز التحرير في بيروت. وطبعت «الصياد» من العدد ٢٢٥، في السادس من تموز - يوليو ١٩٤٨، الى العدد ٢٣٤، في السادس عشر من تشرين الاول - اوكتوبر ١٩٤٨، على مطابع دار الهلال، وظهر لها اول غلاف بـ« الاوفسيت».

ولم تكن العملية سهلة على الاطلاق. امتلأت بمعاناة شديدة. وتسببت في آلام

كان لها نتائجها ايضا. وفي احدى مراحل التجربة القصيرة، بعث سعيد فريحه الى انطون متري برسالة يمكن وصفها بالمذكرة، ويتضح من مضمونها كل هموم سعيد فريحه الصحفية والمالية والوطنية ايضا. فهو من النوع الذي لم يكن ينسى، في غمرة العمل وتعقيداته، انتماءه الوطني والقومي.

والرسالة - المذكرة غير مؤرخة مثل معظم الرسائل والمذكرات التي كتبها سعيد فريحه بخط يده، لكنها تعود الى عام ١٩٤٨ وهو العام الذي طُبعت فيه «الصياد» في القاهرة في «دار الهلال».

وتقول الرسالة حرفيا:

«عزيزي انطون

اخذت رسالتك ثم برقيتك. وبشأن فاتورة دار الهلال عن العدد الممتاز، اقول: خذ موقتا ٢٠٠ جنيه من عبد الحميد. وفي الاسبوع المقبل يأتي نجيب بك واطلب منه ان يشير بتسديد الباقي. واعتقد ان دار الهلال لا تمانع اذا بقي لها كم جنيه لا سيما وانها قبضت «الشك» بمبلغ ٥٠٠ جنيه منذ البداية. هذا اذا لم تستطع انت ان تدبر الامر من حساب الاعلانات والمبيع. واعتقد انك غير ناس باننا ندفع هنا كل اسبوع اجرة الشحن و ١٥٠٠ ليرة لنجيب بك، ورواتب سهيل وخليل ويوسف ومحمد الخ... ثم يضاف الى ذلك الف مشكل ومشكل... ولهذا وجب ان نفكر جديا بمسألة مشروع الطباعة الذي كتبت عنه كل شيء ما عدا الاجرة.. وهي الاساس في العملية. اذن فانا بانتظار اخبارك بهذا الشأن. واعتقد بانها عملية ناجحة شرط ان لا يكون هناك تأخير في الطبع او في الحفر، وشرط ان لا يكون اصحاب الدار الجديدة «يهود». وحتى لا يفاجأ القراء بانتقالنا من دار الهلال يجب ان تحذف اسم الدار من نهاية «البرواز» وتضعه في زاوية صفحة اخيرة، وتحتج على هذا التغيير باجراء تعديل بسيط في البرواز.. او تضع البرواز نفسه - اذا تعذر الحذف - في صفحة اخيرة. وفي حالة عدم توفيقنا في مشروع الطبع لا بأس اذا رجعنا الى بيروت لا سيما وقد صار عندنا ليونوتيب... ولكن قبل ان نرجع يوجد عدة مشاريع ومنها ان نجيب بك على استعداد لان يشتري لنا مطبعة. فما رأيك؟ كان وقع العدد حسنا جدا هنا. فكيف عندكم؟ العدد القادم الممتاز سيكون عن «حواء» فهل توافق؟ وبعده عن «الصحافة».

انتظر رسالتك واوصيك بضرورة الاتصال بمكتب شركة مصر في المطار لان المواد تتأخر هناك.

سعيد»

وتتضمن هذه الرسالة عدة زوايا في حياة سعيد فريحه، ويمكن تفسيرها حسب الناظر اليها. فهي من جهة، عنصر موازنة بين الارقام والكلمات حتى ليستمر المشروع حيا، نابضا. وهي، من جهة ثانية، تؤكد الحس الوطني المرهف الذي تحول عند سعيد فريحه الى بصيرة نفذت الى المستقبل حين حذرت من التعامل مع مطبعة يملكها يهودي قبل اقرار جامعة الدول العربية قوانين المقاطعة التي تحظر التعامل مع اسرائيل. وهي، من زاوية ثالثة، تتضمن اشارة الى نجيب صالحة والى نوع من العلاقة قامت بينه وبين سعيد فريحه، ضخمتها الاشاعات والحكايات الى حد انه قيل في سنوات لاحقة ان صالحة شريك سعيد فريحه في «دار الصياد». وازاء تكرار هذه الاشاعات، اضطر سعيد فريحه الى كتابة القصة في «الجعبة» والى نشر صورة «الشك» الذي دفعته له الدار مقابل ديونه له. وكان المبلغ مئتي الف ليرة لبنانية.

وتأخر رد انطون متري، فبعث اليه سعيد فريحه برسالة ـ مذكرة ثانية تتضح فيها معاناته الصعبة من التكاليف. ونص الرسالة:

«عزيزي انطون

لم اتلق منك شيئا بعد بشأن مشروع الطباعة. وارجو حين استلامك رسالتي هذه ان تبادر الى اعلامي بما جد من دار الهلال او غيرها لان الاستمرار على هذه الحال خراب. فنحن هنا ندفع:

اولا، ١٥٠٠ ليرة لنجيب بك

ثانيا، ٢٢٠ للشحن

ثالثا، ٣٥٠ تحرير ومكتب.

فيكون المجموع حوالي ٢٠٠٠ ليرة كل اسبوع، وانت ترسل، كما لا يخفاك، كمية من الاعداد لا تسدد ثلاثة ارباع هذه القيمة. فمن اين نأتي بالباقي؟ ومن اين نصرف؟!

ان هناك حلين اثنين للمسألة: اما ان نوفر من اجرة الطبع ومن المبيع ومن الاعلانات عندكم، فتدفع انت اجرة الشحن وشيئا من كل اسبوع لنجيب صالحة، واما ان ننسف المشروع من الاساس!

اما ان تبقى الحالة على هذه الصورة فلا نعرف حالنا كيف رايحين وكيف جايين. فهذا معناه الجنون والانتحار.

اني انتظر جوابك على احر من الجمر مع بيان مفصل بما لك وما عليك. كما ارجو ان تكون برقيتي قد وصلت ودبرت الصورة والمقال عن الرئيس لانه لا يجوز ان يصدر العدد بدون ذلك.

والسلام

سعيد»

ومع اهمية الارقام، التي يوردها سعيد فريحه، في رسالتيه، وخاصة الثانية، الا ان الرقم ليس اهم من الكلمة الا في حال المصيبة مثل الافلاس والانسحاب من السوق الصحفي وجرّ ذيول الخيبة واليأس والقرف! وهنا فأهمية الرقم سلبية. كذلك، ليس صحيحا ان القلم أصبح اقل المعدات ايرادا في هذا المصنع الذي اصبح يطلق عليه اسم صحيفة كما يقول الصحفي الفرنسي ستيفان لوزان. ولو صح ذلك، لما تنافست الصحف العالمية الكبرى على نشر اسماء اللامعين والموهوبين في الصحافة على صدر صفحاتها الاولى. ويقول الدكتور محمد جابر الانصاري بهذا الخصوص: «ان المؤسسة الصحفية لا تنهض الا باقلام ناجحة. لقد انتهى الدور الاداري للصحفي الفرد، وانتهى الدور الاشرافي للصحفي الفرد. لكن دور الكاتب الناجح لا يزال مستمرا. اعني، مثلا، ان جوزف كرافت، الذي توفي قبل فترة قصيرة، كان قلمه وتعليقه والتراث الذي خلفه اهم من أي مؤسسة اميركية. ورغم ان المؤسسات الصحفية في اميركا اصبحت امبراطوريات، الا ان امثال جوزف كرافت وجيمس رستون اعطوا تلك الامبراطوريات نكهة خاصة في عالم الصحافة، ونفس الحكم ينطبق على سعيد فريحه، ثم انه لا يزال لكتابات محمد حسنين هيكل قراؤها سواء كان هيكل داخل «الاهرام» ام خارجها».

لقد مرّت الصحافة العربية، ومعها الصحافة اللبنانية، باطوار عديدة رغم حداثة نشأتها. وبقيت صحافة كثيرة العدد، تقوم على «جهاز» الافراد بدل المجموعة، ولا تستطيع ان تضاهي صحافة اوروبا من حيث جودة الطباعة ومستوى المعلومات التي يقدمها الكتاب ورجال الصحافة في المطبوعة المقروءة. وقد تكون صحافة مصر، او بعضها على الاقل، استثناء نسبيا على الصحافة العربية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى.

«والظاهرة الغريبة في الصحافة العربية (انها لم تجتذب اليها احدا من اصحاب رؤوس الاموال او رجال الاعمال الكبار لتوظيف اموالهم فيها (بعد الحرب العالمية الاولى). فظلت صناعة الفكر وقفا على اصحاب الفكر، وهم جماعة رأس مالها في رأسها، بعكس الصحافة الاوروبية والاميركية التي هي في الغالب ملك شركات تجارية مساهمة ضخمة» [٧]. ففي فرنسا، مثلا، يملك مسيو بوساك، صاحب مصانع الاقمشة المعروفة باسمه، عدة صحف ومجلات بيد ان الصحافة العربية هي ملك الاقلام التي تكتب فيها لا ملك التجار واصحاب المصانع او الشركات المساهمة. لذلك، ما زلنا نرى ان حياة الصحيفة، بصورة عامة في الاقطار التي لم تؤمم الصحافة، تظل معلقة على حياة صاحبها. واذا مرض او سافر مرضت صحيفته وهزلت. وان مات ماتت معه واضمحلت)» [٨]

ومع ذلك، فقد حققت الصحافة العربية شوطا من التقدم في الاسلوب وفي فنون

الطباعة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية، وطرقت ابوابا جديدة، وسايرت النهضة الصحفية في العالم وارتفعت بمستوى المهنة الى درجة معقولة.

«وكان التطور الهام البارز في صحافة ما بعد الحرب العالمية الاولى هو ازدياد عدد قراء الصحف في البلدان العربية زيادة محسوسة بالنسبة لما كانت عليه في الماضي.

(حدث) كل ذلك، بسبب زيادة انتشار التعليم وكثرة المتعلمين واقبال الناس على المطالعة واهتمامهم بالسياسة وانشغالهم بالنضال الوطني لتحرير البلاد.

«كما ان اصدار الصحف لم يعد يتم بالسهولة نفسها التي كان يتم بها قبل الحرب، بل اخذت نهضة الصحافة تنتقل من دور الحرفة البسيطة الى دور الصناعة المعقدة» [٩]

وفي لبنان فقد نضج القلم الصحفي في مرحلة ما بعد الحرب الثانية ونضجت معه وسائل الاعلام على الصعيدين الفكري والتوجيهي، وانتشرت رسالة الصحافة انتشارا واسعا برزت فيه شخصيتها الرائدة في اعمق معانيها وابعد آفاقها، حتى اضحى من الممكن القول ان هذه المرحلة الزمنية تمثل العصر الذهبي للصحافة اللبنانية، لانها اختبرت كل شيء خلال هذه الفترة، اذ تمتعت باستقلال البلاد، وعايشت واطلعت على تطورات العهود الاستقلالية، التي تتابعت، فاختبرت الحياة العامة من جميع نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

والصحافة اللبنانية هي التي جعلت حجم لبنان يكبر ويتسع متجاوزا مساحته الصغيرة. «ولقد صنعت صحافتنا نفسها بنضال رجالها ودم شهدائها، وبجهد متواصل وكفاح اشترك به النابغون والكادحون والمجهولون، الذين نشروا اسم لبنان تحت كل سماء» [١٠]

وكان العالم العربي هو المجال الحيوي لصحافة لبنان. العالم العربي بامتداده الجغرافي من الخليج الى المحيط، ذلك ان لبنان قاعدة محدودة كما جاء في حديث صحفي لسعيد فريحه. «واذا اراد الصحافي ان يعتمد على لبنان، فان التطور يبقى محدودا. واذا كان هناك من تطور، فالمدى الحيوي لتطور الصحافة اللبنانية، هو العالم العربي، تماما كالتطور الصحفي في كل انحاء العالم العربي الذي يجب ان يكون مداه المحيط العربي باسره. ومن اكبر انتصارات «دار الصياد» هو انتصارها في اسواق العالم العربي، وهذا شيء نعتز به، لا صحفيا فقط، بل وطنيا وعربيا».

ولم يقتصر الكلام على «دار الصياد». فالفكرة ابعد تأثيرا. «فعندما اتحدث عن الصحافة في لبنان لا اتصور ابدا ان كل الصحافة هي «دار الصياد». فالبلد الذي يحوي مؤسسة صحفية واحدة، لا يحوي صحافة. عندما اتحدث عن الصحافة، اتحدث عن مجموعة من الصحف، عن «دار الصياد» وغيرها من المؤسسات والصحف» [١١]

وكما حدث في العالم الغربي، حدث في لبنان. كانت المؤسسات الصحفية الكبرى

ملكا لاشخاص، في البداية، وتطور بعضها ليصبح ملكا لشركة مساهمة او محدودة. وهذا لا يمنع من ان بعض الصحف اللبنانية ولد كشركات او مؤسسات. وعلى سبيل المثال، فجريدة «الاحرار» التي اصدرها جبران تويني في الخامس عشر من آب - اغسطس عام ١٩٢٤ كانت تصدرها شركة مساهمة. «وكانت تنطق في بادىء الامر بلسان «الماسونيين الاحرار». فلم يبق ماسوني في سوريا ولبنان الا واشترك فيها. فانتشرت في وقت قصير انتشارا عظيما، اولا للجرأة التي تحلت بها، ثانيا لحسن مواضيعها، ثالثا لوفرة اخبارها، رابعا لحجمها. فقد كانت اكبر جريدة في سوريا ولبنان» [١٢]

وما لبث ان انحلت الشركة المساهمة بعد مدة قصيرة. وقامت مقامها شركة ثلاثية متضامنة من جبران تويني، وخليل كسيب وسعيد صباغة. وظل التويني يتولى رئاسة تحريرها. وقد تقدمت «الاحرار» في عهد التويني تقدما سريعا حتى بلغ طبعها ستة الاف نسخة! وبلغت صفحاتها ثماني صفحات، واحدثت في الصحافة البيروتية دويا كبيرا حمل بقية الصحف على مجاراتها، مما ادى الى خلق نهضة صحافية مباركة، كانت الاحرار باعثتها» [١٣]

وتأسست جريدة «النهار» على يد جبران تويني عام ١٩٣٣، وذلك اثر تصفية «الشركة الثلاثية» المؤلفة منه ومن خليل كسيب وسعيد صباغة، والتي كانت تصدر جريدة «الاحرار» بسبب وقوع خلاف بين الشركاء الثلاثة، ادى الى انفصال التويني عن الاحرار، فاصدر باسمه مستقلا جريدة «النهار»، بينما تابع كسيب وصباغة اصدار «الاحرار».

وكان لجريدة «النهار» اثر بارز في تطوير الصحافة اللبنانية قبل الحرب العالمية الثانية واشتهرت بجرأتها واندفاعها ودفاعها عن القضايا الوطنية وبسياستها العربية المناوئة للانتداب. وقد عُطلت وغُرِّمت وحوكمت عدة مرات. وفي تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٦ عُين جبران التويني وزيرا مفوضا للبنان في الارجنتين والتشيلي، فودع الصحافة وترك «النهار» بعده الى نجليه غسان ووليد.

وفي السابع والعشرين من تموز - يوليو ١٩٣٦ تأسست جريدة «بيروت» شركة مساهمة. وكان صاحب امتيازها محي الدين النصولي ورئيس تحريرها فؤاد قاسم. واتخذت شعارا لها «العروبة فوق الجميع». «وكانت طوال حياتها معتدلة، رصينة، موزونة تدافع عن القضايا العربية في لبنان بحكمة واندفاع».

وتوقفت عام ١٩٥٨ بعد ان توفي احد اصحابها، انيس النصولي، واعتزل رئيس تحريرها محي الدين النصولي نشاطه الصحفي والسياسي.

وقامت في لبنان مشروعات صحفية فردية كثيرة، كان صاحب المشروع، في معظمها، رئيس التحرير. لكن التوسع والتطور في عقدي الخمسينات والستينات

فرضا على كثير من المشاريع الصحفية الفردية التحول اما الى شركات او مؤسسات، كان، وبقي، معظمها مملوكا لعائلة المؤسس.

انتهى عهد الملكية الفردية. وانتهى عهد المالك رئيس التحرير. وهذه سنّة التطور. والظاهرة الملفتة في لبنان، ان ذلك لم يحدث بعد رحيل المالك رئيس التحرير، بل نتيجة لقرار منه كان عن قناعة وايمان بان العصر هو عصر المؤسسة الكبيرة، بنظامها وتنظيمها الهرمي ومجلس ادارتها وقراراتها المستقلة. وفي محاضرة القاها سعيد فريحه عام ١٩٦٩ تحدث عن الفردية في الصحافة آملا انتهاء هذه الظاهرة الى ما هو اكثر ثباتا واستقرارا لاي مؤسسة صحفية، فقد قال: «اتطلع الى اليوم الذي نحرر فيه صحافتنا وصحفنا من الفردية، فلا تكون الجريدة او المجلة ظل صاحبها، تشيخ اذا شاخ وتنتهي اذا انتهى، بل تستمر قوية شابة، بفضل المبادىء التي تعتنقها، والاقلام التي تعمل فيها، وروح الاسرة التي تمدها باقوى اسباب النجاح والاستمرار».

واعتبر غسان تويني ان عهد الملكية الفردية في الصحافة قد زال، او هو في طريق الزوال. «وهذا ما كنت ابشر به واكتب عنه منذ ان قمت في «النهار» بما اسماه البعض الثورة الصناعية في الصحافة اللبنانية. واعتبر ان جيل «اصحاب الصحف» الذين كانوا في آن واحد اصحاب صحف ورؤساء تحرير قد زال مع كامل مروة وجورج نقاش وان الباقين في هذا الجيل مضطرون للخضوع لقوانين التطور العصري التي تجعل مؤسساتهم مؤسسات جماعية» (١٤).

ويستبعد ياسر هواري امكانية نجاح اي مشروع صحفي فردي في هذا العصر لان الصحافة تحولت الى نوع من صناعة، وصناعة ضخمة. والصحف، كما يرى، تحولت الى شركات مساهمة «يدخلها مساهمون تحت تأثير الاهتمام بالقضايا العامة او بالامور الصحفية، وفي اغلب الاحيان العاملون في القسم الصحفي بمعزل عن هذه المشاركة. وقد تجاوزوا في اميركا هذه المرحلة على اساس ان المؤسسات الصحفية تبقى مجال المساهمة في رساميلها مفتوحة امام العامل الصحفي فيها. وقد تحولت بفعل هذا الوضع عدة صحف من مؤسسات كان يملكها افراد الى مؤسسات مساهمة يملكها العاملون فيها. وتضاءلت مرحلة ملكية العائلات للصحف. ومن هذه المؤسسات امبراطورية «هيرسل» في اميركا وامبراطورية «تايم» - «لايف» التي يترأسها شخص لا علاقة له بالعائلة التي انشأتها رغم وجود اشخاص من العائلة المؤسسة يعملون في الصحافة. وهذا الشيء نفسه ينطبق على الصحافة في الغرب الاوروبي. وقد ظهرت في السنوات العشر الاخيرة عدة ازمات في مؤسسات صحفية مشهورة شهدت صراعات بين رأس المال المالك للصحيفة وبين اسرة التحرير او العاملين فيها. وفي

الواقع، على الصعيد اللبناني، كانت مؤسسة «النهار» من اوائل المؤسسات الرائدة في هذا المجال» (١٥).

ان المشروع الفردي المحدود الامكانيات لا يستطيع ان يستمر ويتوسع في عالم الاعلام الحديث. «فالعصر هو عصر المؤسسة الصحفية الكبيرة والعملاقة. وانت لا تستطيع ان تصدر صحيفة بينما مكاتبك في مكان، والمطبعة في مكان آخر، ودائرة المحاسبة في مكان ثالث، كما لا تستطيع ان تلزم اعلاناتك الى شركة على حد تعبير مدير عام «دار الصياد» بسام فريحه (١٦).

وينفي الصحفي والكاتب المصري الكبير مصطفى امين ان يكون المشروع الفردي في الصحافة قد انتهى «رغم رأس المال الضخم المطلوب لانشاء دار صحفية. وسوف يستمر ظهور الشباب المبدع الذي سيبدأ باصدار جريدة صغيرة يضع فيها دمه وعرقه وفكره حتى تكبر تدريجيا وتصبح مؤسسة صحفية. ونحن دائما في حاجة الى هؤلاء الشباب الملهمين. والصحافة العربية تقدمت في الطباعة والالات الحديثة لكنها تأخرت في الحرية» (١٧).

وحول ما اذا كان عصر المشروع الفردي في الصحافة العربية قد انتهى ام لا يزال مستمرا، يقول الدكتور محمد جابر الانصاري: «اعتقد، الى حد كبير، انه قد انتهى. ان المشروع الفردي كامكانيات وكمؤسسة انتهى. طبعا لم ينته الرأي الفردي والاسلوب الفردي والرسالة والدعوة التي يمكن ان تقوم من خلال هذه المؤسسات احيانا او على هامشها. لكن الدور الفردي يكاد ان يكون قد انتهى.

«ان الدليل على ذلك هو انه في مجتمع صغير، مثل المجتمع البحريني، نشهد نهاية للمؤسسات الصحفية الفردية، مما يعني نهاية الاشخاص القائمين عليها، بتقاعدهم او وفاتهم وتحول المشروعات الصحفية الفردية الى مؤسسات ومجالس ادارة. الان ما هو فردي يكاد ان ينتهي رغم امكانيات صاحبه في الكتابة، وغيرها، ونشهد بدايات المؤسسات الصحفية.

«ويبدو لي ايضا ان المشروع الفردي محكوم بالفشل خصوصا مع تعقد الفن الصحفي ودخول الآلات والوسائل الحديثة. ان صناعة الصحافة لا تستطيع ان تكون مشروعا فرديا لان المسألة لم تعد كاتب المقال المؤثر الذي يطبع على الآلة الحجرية او المطبعة الحجرية. اليوم يوجد الكومبيوتر ووسائل الاتصال مع العالم كله. لكن يظل في المؤسسة الصحفية الدور المهم للكاتب الفرد صاحب الاسلوب الناجح. فالمؤسسة يمكن ان تطبع مقالات وتنشرها. لكن اذا افتقدت الى هذه المواهب فيمكن ان تتحول الى شيء جامد».

ويختلف المشروع الفردي، كنشر جريدة او مجلة او دورية، عن المشروع المؤسسي العائلي. وفي بيئة مثل لبنان دارت حوارات ومناقشات مستفيضة حول ما اذا كان

يمكن ان تتحول المؤسسة العائلية الى مؤسسة مساهمة. وفي هذا الخصوص تقول السيدة الهام فريحه الى المؤلف: «اولا، اود التمييز بين المؤسسة الاقتصادية (تجارية او صناعية) والمؤسسة الصحفية. فالاولى تتعاطى اعمالها على اساس العرض والطلب، وعلى قاعدة الربح والخسارة، والثانية مجالها الفكر والرأي والخلق، ورأس مالها القلم والكلمة.

«وتعتمد المؤسسة الاقتصادية على الكمية ان من حيث رأس المال او من حيث الانتاج. اما المؤسسة الصحفية فاعتمادها على النوعية، اي على الموهبة والعلم والتخصص، مقرونة بتقنية متطورة.

«اما من حيث القاعدة المالية لاي مؤسسة صحفية او اقتصادية (تجارية وصناعية) فتخضع جميعها لاسس واحدة، ويسمح القانون في لبنان بان تتحول المؤسسة العائلية الى مؤسسة سهمية ـ مساهمة.

«هذا من حيث المبدأ. اما اذا كان المقصود بالسؤال هو العلاقة المادية بين المؤسسة وعناصرها العاملة، فانها علاقة تكاملية تضامنية، تهدف الى عدم اشغال الفكر والموهبة بأي متاعب مالية بغية تأمين انصرافها الى الخلق والانتاج المبدع. وهذا ما تحرص عليه «دار الصياد» في معاطاتها مع العاملين فيها. بمعنى آخر، ان مؤسستنا هي التي تدخل مساهما في حياة افراد اسرتها، بهدف تأمين متطلباتهم الحياتية والحؤول دون تشتت افكارهم في مجالات غير التي نذروا انفسهم لها».

وتحدد السيدة الهام فريحه، التي درست علم النفس واكملت سنتها الجامعية الاولى ثم تزوجت، شروط استمرار المؤسسة الصحفية العائلية «بالانطلاق من النظرة العائلية الضيقة، الى النظرة الاسروية الواسعة، واندماج المؤسسة بادارتها وتحريرها وطباعتها في هيئة واحدة تترابط عناصرها فيما بينها، وتندفع من العلاقة المادية الصرفة الى العلاقة الروحية الصافية الخلاقة.

«وقد كان لمفهوم الاسرة وقع خاص عند سعيد فريحه، اذ كان لا يفرق بين عائلته الصغيرة واسرته الكبيرة. وكان تعاطيه مع الاسرتين واحدا ان ماديا او معنويا او توجيهيا. حتى ان بعض ابنائه بالروح كان يعتبرهم مساوين او ربما احيانا اقرب اليه من ابنائه بالدم.

«وهذه النظرة الى المؤسسة والعاملين فيها، جعلت من «دار الصياد» نموذجا في العلاقة التكاملية المبنية على العطاء والوفاء، وخلقت ترابطا عضويا لم يؤمن فقط استمرارية الدار، بل كان دافعا لمزيد من التطوير والتحديث والاصدارات الصحفية الجيدة.

«انها شروط اعتمدتها «دار الصياد»، واعتقد انها ضرورية لاستمرار اي مؤسسة صحفية مماثلة».



الفصل الثالث
البدايات والقمة

بدأ سعيد فريحه في مدينة حلب السورية مسيرته الصحفية التي امتدت لأكثر من نصف قرن ، وكانت مليئة بالعطاء والاخلاص والتضحية والالتزام الوطني الذي ادى الى السجن. واحب سعيد فريحه عمله الى حد العشق الذي امتزجت في ثناياه الموهبة بالقدرة على ملاحقة ومتابعة مستجدات الصناعة وتطبيقها في «دار الصياد» البيروتية .

عمل سعيد فريحه محرراً في حلب وراسل عدة صحف دمشقية وبيروتية قبل العهدين الاستقلاليين في لبنان وسوريا . وكانت هذه الفترة تجربة جيدة لسعيد فريحه ، امدته بأفق عربي قومي جعله يتخطى في كتاباته ومعتقداته الاعتبارات الاقليمية الضيقة . فهو اللبناني الذي يعمل في سوريا في حقل امتداده الساحة العربية بطولها وعرضها . فانطلق في هذه الساحة بدون قيود رغم انه دفع ، في فترة من العهد الاستقلالي، ثمناً مرتفعاً لما آمن والتزم به في مهنته وحياته الشخصية .

كانت «التقدم» اول صحيفة عمل بها سعيد فريحه . واظهرت كتاباته الاولى في «التقدم» وفي صحيفة «الراصد» الحلبية ايضاً ، موهبة في صناعة الكلمة ، مما دفع بشكري كنيدر الى التنبؤ بنجاح سعيد فريحه في حال اكمل وتابع السير على طريق مهنة الصحافة . ومن حلب راسل سعيد فريحه جريدة «القبس» الدمشقية و «الاحرار» البيروتية . وحين عاد الى بيروت واستقر فيها كتب في «الاحرار» و «الصحافي التائه» و «الحديث» الذي ظل يكتب فيها فترة ممتدة حتى بعد ان اصدر «الصياد» عام ١٩٤٣ .

ويروي سعيد فريحه قصة البدايات الاولى فيقول انه عاش في مدينة حلب عشر سنوات ، «كنت اكتب في جريدة التقدم، وأراسل الرأي ولسان الحال والادب في

دمشق. وانطلقت منذ ذلك الحين حتى انشأت الصياد عام ١٩٤٣ ، وبعدها بنيت لها داراً» . [١]

ووجد سعيد فريحه بعد اصدار «الصياد» بسنوات ان تلك الدار التي بناها كانت كبيرة على مجلة «الصياد» . فأصدر مجلة «الشبكة» التي جاء مضمونها منسجماً مع موهبته الصحفية وطاقته الفنية على الابداع . وفي مرحلة تالية على صدور «الشبكة» وجد انه يجب ان يرافق المجلتين السياسية والفنية جريدة يومية ، فأصدر جريدة «الانوار» [٢] بعد ان احتدمت في عقد الخمسينات المعارك القومية السياسية في المنطقة . وشهد لبنان في عام ١٩٥٨ صراعاً بين تيارين، قومي عربي وانعزالي مؤيد لسياسة الاحلاف الغربية . وكان الاختيار عند سعيد فريحه سهلاً . وقد تبنى التيار القومي في جريدة «الانوار» ولم يحد عنه حتى بعد هزيمة ١٩٦٧ وتخلي جزء من الاعلام القومي العربي عن التيار الناصري الذي كان يعكس التطلعات القومية الوحدوية في تلك الحقبة .

ولم ينسلخ سعيد فريحه ابداً عن قول الصدق والحقيقة فيما يتعلق بمسيرته الصحفية الغنية والمتنوعة الجوانب. وسجل، في مناسبات مختلفة ، كل ما يرتبط بهذه التجربة الرائدة في عالم الصحافة اللبنانية والعربية .

حكى في حديث إذاعي عن البدايات الاولى لـ «دار الصياد» . فلم ينكر انها كانت متواضعة جداً . وليس في هذا اي عيب. فهو لم يرث مالاً يضعه في الصحافة ، لا بل انه علّم نفسه بنفسه الحرف والكلمة والجملة المفيدة رغم اعتراض الاقارب ومحاولتهم توجيهه الى مهنة الحلاقة التي كان يمارس فيها الحلّاق، مثله مثل العطّار، بعضاً من مهنة الطب!

قال سعيد فريحه في حديثه الاذاعي : «الحقيقة، اول ما طلعت مجلة «الصياد» طلّعتها بالإجرة . وخطر لي ان اعمل مؤسسة . والدافع اولادي . وكنت لا ارغب فيما بعد ان يصبحوا صحافيين ـ انا عانيت من الصحافة في مطلع شبابي. لم اصبح صحافياً ناجحاً بسهولة . عانيت الكثير، وشقيت اكثر» .

ويمكن تصوّر بعض ما عاناه سعيد فريحه من معرفة انه سُجن خمس مرات وانه تعرّض للاغتيال اثنتي عشرة مرة مع انه تمسك بكلمة الحق التي تقول الحقيقة ولا تسيل الدماء . وسعيد فريحه من اللامعين النادرين في شفافية احاسيسهم . فقد قال في محاضرة القاها في معهد الصحافة في بيروت: «إني اشعر بالندم والخجل كلما تذكرت ان قلمي خط في وقت من الاوقات عبارات جارحة يعاقب عليها قانون الذوق وادب الكلمة قبل قانون الجزاء» .

وعلّم سعيد فريحه اولاده. «انا لم اتعلم . كنت متحمساً لتعليمهم . نشكر الله . فقد علمتهم . ارادوا ان يصبحوا صحافيين . حاولنا توجيههم نحو الهندسة والطبابة

فنبعدهم عن هذه المهنة . مهنة المتاعب. لم يقبلوا» .

والسبب، كما يورده سعيد فريحه ، انهم «رأوا والدهم صحافياً ، فأرادوا ان يصبحوا صحافيين وان يعملوا في الصحافة .

«الصحافة ليست وراثة . هم احبوها . انا مشيت حافي القدمين حتى وصلت . وقلت فليدخل اولادي الصحافة من بابها الكبير. وخطر لي تعمير دار صحفية وليس معي ليرة . فما العمل؟».

كانت «جعبة» سعيد فريحه قد اطلقت شهرته في الساحة العربية كلها ، في سوريا والعراق، في مصر والسعودية ، في المغرب الكبير وفي الخليج . واسعفته «الجعبة» بينما لا يملك ليرة واحدة: «عملنا كتاباً اسميته «الجعبة». وارسلت مئة «جعبة» الى مئة صديق. وجمعنا مئة الف ليرة . وعمرنا «دار الصياد» بمئة الف ليرة» .

ولم يكن المبلغ كافياً لتغطية كل تكاليف البناء وما يضمه من معدات . فلجأ سعيد فريحه الى صديق حميم . ويقول في هذا: «وكان صديق لي اسمه الشيخ عبدالله الجابر في الكويت . قلت له المروءة. قال شو .

«قلنا ما بقي معنا عملة (نقود) .

«قال: ابشر .

«اعطانا مئة الف ليرة دفعة اولى. وطمعنا ، فأخذنا مئتي الف ليرة ، واكملنا بناء الدار .

«ورفض ابو جابر ان نقسط له المبلغ» [٣].

وفي عام ١٩٦٤ خطا سعيد فريحه ، شأنه في ذلك شأن معظم المؤسسات الصحفية اللبنانية الكبيرة، خطوة اخرى في «دار الصياد» فنقل ملكيتها من ملكية خاصة الى شركة مساهمة ، تناصفت فيها الاسهم ما بين الشيخ جابر الاحمد الصباح ، امير الكويت ، الذي كان وزيراً لمالية بلاده آنذاك ، وبين آل فريحه ، وامتلك كل طرف خمسين في المئة من الاسهم .

وحدثت عام ١٩٧١ ، ازمة بين الرئيس اللبناني الاسبق سليمان فرنجية وبين جريدة «النهار» . واصدر الرئيس اللبناني خلال تلك الازمة قانوناً ينص على وجوب ان يكون مالك اي صحيفة لبنانية لبنانياً . واعطى الصحافة مهلة سنة لترتيب اوضاعها على اساس القانون الجديد. فأعادت «دار الصياد» شراء الاسهم من الشيخ جابر الاحمد الذي سهّل للدار عملية الشراء بتقسيط المبلغ على دفعات ، بينما لجأت جريدة «النهار» الى تحويل المساهمة الاجنبية فيها من ملكية «اسهم لحامله» الى «قرض لحامله» . ولجأت «الحوادث» الى فصل «الحوادث» كإمتياز ومجلة عن «الحوادث» كمبنى ومطابع ، واسست شركة جديدة تمتلك البناء والمطابع فقط . وبهذا فقد استمر الشريك العربي مالكاً خمسين في المئة من المبنى والمطابع بدلاً ان يكون مالكاً في

الامتياز ، اذ لم يكن هناك قانون يمنع الملكية الاجنبية في البناء والمطابع . لقد تكيّفت «دار الصياد» مع القانون الجديد، وكانت المؤسسة الصحفية اللبنانية الوحيدة التي استعادت كامل ملكيتها على الاسهم .

ان من خصائص نفسيات العمالقة، الكبار، عدم اعترافهم الوصول الى القمة رغم وقوفهم على القمم . فهم متواضعون، يعرفون قيمة الجد والاجتهاد في العمل الصحفي . فالصحافة ليست امتيازاً اجتماعياً او سياسياً يعلو صاحبه فوق بني البشر. وليست الصحافة وجاهة تجعل ممتهنها يقبع في صومعة التكبر بلا كبرياء . لقد حمل سعيد فريحه في نفسه تواضع الكبار، وبقي يبحث عن الخبر والتحقيق والتعليق والقصة والحكاية وكأنه مبتدىء يريد اثبات وجوده في عالم الصحافة الذي يمنح لكل مجتهد نصيباً . وقدم سعيد فريحه، على طبق من فضة ، خلاصة تجربته الرائدة الى كل من يسعى الى السباحة في نهر خبرته الواسعة التي شكلت مدرسة صحفية عُرفت باسم «مدرسة دار الصياد» تخرج منها الكثيرون .

قال سعيد فريحه: «بدأت الصحافة من اول السلم . ولا ازال اتسلق الدرجات بكثير من الحذر، وكثير من الاقتناع بان الوصول الى رأس السلم ممكن في السياسة وليس في الصحافة .

«ذلك ان سلم الصحافة طويل لا ينتهي. كلما تسلقنا منه درجات ارتفعت درجات ، وبات كل همنا ان نتقي السقوط لا ان نبلغ القمة» .

هذا منتهى التواضع والحكمة . ويقيناً فإن سعيد فريحه يهديه الى الذين يظنون انهم تربعوا فوق كرسي صاحبة الجلالة، وامتلكوا ناصية الكلمة ، فحولوا المهنة ، او تحولت المهنة على ايديهم الى مرتع للكسالى اصحاب النظريات الفارغة بينما هي بحر الدر في احشائه المعلومات والاخبار التي تنتظر الغواصين .

ويحكي سعيد فريحه عن تجارب الساقطين من سلم الصحافة الطويل الذي لا ينتهي، ويقول: «وقد سقطت في الغرب اخيراً كبريات الصحف، بعد ان كان الاعتقاد سائداً انها اقوى من جبل الجليد. وفات الغرباء عن الصحافة ومتاعبها ومسؤولياتها الجسام ان طريقها كله جليد وجبال جليد» .

والصمود «هو المعجزة» . ولا يصنع هذه المعجزة غير «الجهد والابداع واستباق الزمن ، ويصنعها اكثر ما يصنعها دم الشباب» .

والشباب ليس عمراً . انه الجهد المتواصل والسعي الحثيث والبحث عن الخبر والحقيقة: «فمهما شاخت الصحافة تظل، ويجب ان تظل، شابة في عطائها ، والاّ تكررت مأساة السقوط .

«واحمد الله على اني كنت ، ولا ازال، اؤمن بدم الشباب طاقة خلاقة تمدّ الصحافة بالعطاء الأبدي السرمدي، جيلاً بعد جيل، تماماً كما هي الحياة .

والصحافة فكر وروح وحياة قبل ان تكون حرفة او صناعة .[٤]

التجربة الطويلة هي التي امدت سعيد فريحه بالأفكار السابقة والتي كرسها عملياً في مجلة «الصياد» منذ عددها الأول الذي صدر في اليوم الاول من كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٤٣ .

كان مكتب سعيد فريحه في غرفة صغيرة في بناية الصمدي في بيروت . والغرفة جزء من مكاتب جريدة «الحديث» التي كان يملكها الياس حرفوش. وجاء العدد الاول من «الصياد» باربع وعشرين صفحة ، ثم قفزت الصفحات الى اثنتين وثلاثين . واعتبر النقاد الذين عاشوا ولادة «الصياد» ان سعيد فريحه سجل فتحاً جديداً في عالم الصحافة العربية السياسية الساخرة. وبسرعة شقت «الصياد» طريقها بين مجلات لبنان السياسية واصبحت في طليعتها انتشاراً ورقياً وتحريراً وطباعة . كما اصبحت، بسرعة ايضاً ، مسرحاً لاشهر الكتاب واقواهم في لبنان والبلدان العربية . واشتهر صاحبها الفكه الطريف المشوّق بسياسته العربية الوطنية .

وكانت هذه السياسة منسجمة تماماً مع ما حدده سعيد فريحه في افتتاحية العدد الاول التي جاءت بعنوان «هذه المجلة»، وضمنها منهج وخطة «الصياد» وتطلعها العربي من خلال رسالتين كتبهما للعدد الاول من «الصياد» الرئيسان اللبناني بشارة الخوري والسوري شكري القوتلي. وافتتاحية العدد الاول عبارة عن وثيقة يمكن الرجوع الى مضمونها في حال دراسة فكر سعيد فريحه الصحفي والسياسي على حد سواء ، بالاضافة الى كونها «رسالة وفاء» علنية من سعيد فريحه الى الياس حرفوش، اراد كاتبها ان يلغي من الاذهان الفكرة الشائعة في ان الصحافة مهنة عقوقة ويتنكر ابناؤها بعضهم لبعض!

والوفاء عند سعيد فريحه يرقى الى مرتبة التقديس والعبادة . والوفاء الذي اظهره نحو الياس حرفوش لم يكن ظاهرة او اشارة عابرة ثم انقطعت في حياة سعيد فريحه. بل استمرت هذه الظاهرة في نفسه الى لحظة وفاته . وكانت قمتها في قصة تدخله مع جمال عبد الناصر لمصلحة صديقه المعتقل والمتهمّ مصطفى امين كما سيتضح في الفصل اللاحق .

جاء تحت عنوان «هذه المجلة» النص الاتي:

«قد يتساءل الكثيرون ، لماذا اقدمنا على إصدار هذه المجلة في الظروف الحاضرة؟ ومن اين لنا القدرة على مقاومة اشدّ ازمة عرفتها الصحافة . فالورق اندر من الذهب، واغلى من البنكنوت . ومرتب العامل يوازي مرتب رئيس ديوان في الحكومة . اما تكاليف الرسم والحفر والطباعة والتحرير وشحوار النيل فحدِّث عنها ولا حرج . ان ظهور السادة صحناوي وكتانة وحاييم نتائيل وحدها لا تستطيع ان

تصمد تحت اثقالها . أما ظهر الداعي فأوهى واعجز من ان يتحمل هذه النفقات الضخمة .

«وفي الواقع ان إقدامنا على تنفيذ هذا المشروع الصحفي يُعتبر ضرباً من المغامرة ، ولكن ايماننا بالله ، وثقتنا بالنفس، واملنا بانفراج الازمة قريباً ، اضف الى ذلك مظاهر التشجيع والتأييد التي يغمرنا بها الاصدقاء، كل هذا حملنا على اصدار مجلة «الصياد» في عهد الدستور والاستقلال وفي ظل يقظة وطنية مباركة . فهي تتطلع الى الحاضر والمستقبل بوجه لبناني عربي لم يُصبغ ، ولن يُصبغ بإذن الله ، الاّ بصباغ الحق والقومية والاخلاص . فإذا قدّر لها ان تعيش على اساس هذه المبادىء، كان خيراً ، والاّ فليست مستعدة على الاطلاق لان تستجدي الحياة من احد، بل ستحاول ان تفرض وجودها ، وتشق طريقها الى قلوب الوطنيين المخلصين بفضل ما يُبذل في سبيلها من جهد ونشاط» .

عاش سعيد فريحه وكتب واشتهر ووصل الى القمة بدون ان يتخلى عن اي مبدأ سجله على نفسه في افتتاحية «الصياد» الاولى والتي وضع لها نهجاً واسلوباً لم يحد عنهما . فقد جاء في الافتتاحية:

«هذا، وسنحرص في مجلتنا «الصياد» على تقديم لون جديد من الوان النشاط الصحفي، والفن الصحفي، فنعالج الاشياء بوخز الإبر لا بضرب النبوت (العصا ذات الرأس المدبب) وبلغة تُفهم وتهضم لا بلغة تسببّ انتفاخ الكبد، ونرجو ان نتمكن من إرضاء جميع الطبقات والاذواق السليمة ، وذلك بفضل مؤازرة ومعاونة فريق غير قليل من ابرز الكتاب واقدر الرسامين والفنانين الذين تحلّوا ، وتحليّنا معهم على ما نظن ، بمواهب هي عطية من الله وليست منحة من أحد» .

ويصل سعيد فريحه الى نقطة تسجيل عرفانه بالجميل لمن افسح له غرفة في مكتبه ، فيتعهد: «واستقلالنا في إصدار «الصياد» لن يمنعنا من مواصلة عملنا في «الحديث» التي رافقنا مولدها ونشأتها واتخذنا من إدارتها مقراً لعملنا المزدوج . فهذه المجلة هي ابنة «الحديث» البكر. . . وصاحبها هو صهر البيت العزيز . . . اما الاستاذ الياس حرفوش فبارك الله فيه من «عم» عطوف، بل من صديق وفيّ كريم يعيش لصحبه اكثر ما يعيش لنفسه . وهذا منتهى النبل والفضيلة في الرجال» .

المبدأ والنهج والوفاء نقاط محددة ذكرها وتعهد الالتزام بها سعيد فريحه في افتتاحية العدد الاول من «الصياد» . وتبقى مسألة لا تقل اهمية عن المسائل الاولية التي سبقتها في الافتتاحية ، وهي المتعلقة بالعهد الذي قطعه سعيد فريحه للرئيسين بشارة

الخوري وشكري القوتلي بأن تكون «الصياد» مجلة الاستقلال والتحرر والحرية:

«وانه لمن اسمى مظاهر العطف والتشجيع ، واكرم دواعي الفخر والاعتزاز ان يصدر العدد الاول من هذه المجلة وفيه الرسالتان الكريمتان من صاحبي الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية وشكري بك القوتلي رئيس الجمهورية السورية . واننا لنعاهد الله والرجلين الكبيرين على السير بهذه المجلة الناشئة في الطريق القويم مقدرين لهما هذا العطف الكبير، والثقة الغالية ، والتشجيع الادبي الذي ظفرنا به من صاحبي الفخامة ، ورجلي الوطنية والكرامة ، اعز الله عهدهما ، عهد السيادة والعز والاستقلال» .

وسارت «الصياد» في الطريق الذي حددته افتتاحية عددها الاول. ومضت تواكب حقبة طويلة من تاريخ لبنان والبلدان العربية . وشهدت وتبنت تطورات التكنولوجيا الغربية ومختلف اوجه التقدم الانساني والاجتماعي والسياسي والفني والاداري. وتحولت «الصياد» من مجرد مجلة الى دار تميزت عن غيرها من المؤسسات الصحفية العربية بتنويع النشر مواكبة لمقتضيات العصر واختصاصاته . فأصدرت مجلة فنية وصحيفة يومية ، اتبعتها بمجلات ودوريات اختصاصية [٥].

في الثلاثين من كانون الثاني ـ يناير ١٩٥٦ صدر العدد الاول من مجلة «الشبكة» ، وهي ، كما وصفها سعيد فريحه ، مجلة الفن والجمال. وفي اقل من ثلاث سنوات سجلت توزيعاً قياسياً بلغ عشرين الف نسخة اسبوعياً . وفي السادس والعشرين من كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٧٥ حطمت «الشبكة» الارقام القياسية اذ بلغ توزيعها ١٩٢ الف نسخة اسبوعياً . وبلغت نسبة الاعلانات فيها سبعين صفحة من اصل مئة صفحة هي عدد صفحاتها . «وهو رقم لم تسجله مجلة عربية من قبل . . ولعل ابرز ما في «الشبكة» انها كانت للفن في لبنان تاريخاً فاصلاً» .

وصدر العدد الاول من «الانوار» يوم الخامس والعشرين من آب ـ اغسطس ١٩٥٩ بثماني صفحات . و«الانوار» جريدة سياسية يومية «حذت حذو الصحف المصرية في نسقها وتبويبها وطريقتها في نشر الاخبار. واهتمت بنشر الرسوم الكاريكاتورية بصورة يومية دائمة . كما انها ابتدعت ابواباً جديدة . وقفزت بالصحافة اللبنانية خطوات الى الامام نظراً لقوة فريقها التحريري . كما نهجت سياسة عربية قومية مخلصة . واصبحت في مدى قصير تعتبر في طليعة الصحف اللبنانية ان لم يكن العربية. ويعود الفضل الى «الانوار» في رفع مستوى محرري الصحافة اللبنانية المادي وزيادة رواتبهم» [٦].

كان سعيد فريحه رائداً من رواد العدالة ورفع مستوى المحررين وهو الذي عانى

كثيراً من جور وظلم بعض الناشرين الذين اضطروه الى السير على قدمين عاريين من نعل جلدي. آمن ان صاحب الموهبة المجتهد لا بد وان يأخذ ما يغنيه عن الحاجة. لهذا فقد تخرج من مدرسته صحافيون كبار لم يدخلوا الجامعة وعالم الاختصاص الاعلامي، ونجحوا في مشاريعهم الخاصة لانهم وجدوا في مدرسة سعيد فريحه البيئة الطيبة نفسياً ومادياً ومهنياً.

ولم يتوقف سعيد فريحه عن التطور المهني سواء من حيث اسلوب العمل ومنهجه او من حيث التكنولوجيا التي غزت صناعة الصحافة. وحين اصدر «الانوار» كتب مقارناً بين الصحافة القديمة والصحافة الحديثة، فسجل انه «شتان ما بين صحافة الأمس واليوم.. كنت اكتفي بالجلوس في قهوة «النجار» وامضي الوقت في لعب الطاولة حتى إذا كان المساء ذهبت الى الجريدة وكتبت اخباراً ومقالات مصدرها الاشاعات والتكهنات والخيال الخصب». اما صحافة اليوم فهي مختلفة، متميزة. والصحفي مثل «راكب دراجة، اذا امتنع لحظة عن الحركة وقف مكانه او انحدر الى الوراء».

وبعد ثماني سنوات على صدور «الانوار»، اي عام ١٩٦٧، صدر عن الدار ملحق «الانوار» باسم «انوار الاحد»، وتناول قضايا الفكر والعلم والفن. واستقطب الملحق كبار الكتاب والنقاد، وكان الصحفي المصري الكبير علي امين من اعمدة الذين ساهموا في تحرير «انوار الاحد».

واشترت «دار الصياد» جريدة «الطيار» اليومية عام ١٩٧٠، وهي الجريدة التي كان يملكها نسيب المتني.

وولدت مجلة «سمر» عام ١٩٧٣. وهي مجلة البيت والمدرسة والرحلات، وتُكتب باسلوب قصصي ومصورة ومتزنة. وتولت الاشراف العام عليها السيدة الهام فريحه.

واصدرت «دار الصياد» نشرة اسمتها «الاداري» في اوائل عام ١٩٧٥. وتحولت في العام ١٩٧٧ الى مجلة شهرية. وفي نفس العام ١٩٧٥، صدر عن «دار الصياد» «الويكلي اوبزيرفر» و«تقارير وخلفيات». والاخيرة تصدر ثلاث مرات في الشهر.

اما «الويكلي اوبزيرفر» فهي شهرية وتصدر باللغة الانكليزية. وتضم مجموعة مقالات وانباء اقتصادية ومالية ونفطية واعلانات ترويجية لمختلف الشركات والمؤسسات الصناعية ووكالات الانباء والاعلان في منطقة الشرق الاوسط وتتوجه هذه النشرة الى النخبة من اصحاب التجارة والعمل في البلدان العربية، واوروبا واميركا والشرق الاقصى. و«هي تلعب دور الوسيط الواعي في عالم الانتاج والمال».

وشهد تشرين الاول - اوكتوبر ١٩٧٦ ولادة «الدفاع العربي»، وهي اول مجلة عربية تخصصت بمتابعة تكنولوجيا التسلح الحديثة.

وارجع سعيد فريحه فضل هذا التوسع والتنوع في الاصدارات الى ابنه بسام ، وحين كتب عن هذه المجلات قال: «ان سمر والاداري والدفاع العربي من بنات افكار النجل العزيز والمدير العام بسام فريحه . وقد اعترضت في البداية على اصدار هذا النوع من الصحف الذي لا يثير الضجيج . ولكن اتضح فيما بعد اني كنت مخطئاً باعتراضي ومتخلفاً عن اللحاق بالافكار الشابة في الصحافة» .

ولحقت تلك المجلات والنشرات اصدارات اخرى . فجاء العدد الاول من مجلة «سحر» في حزيران ـ يونيو ١٩٨٠ . وتغطي هذه المجلة ابرز الاحداث الفنية والثقافية في لبنان والاقطار العربية .

وصدر عدد «فيروز» الاول في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٨٠ ، وهي تعالج القضايا والأمور التي تهم المرأة وجمالها وملابسها وحليها وزينتها . . .

وفي آذار ـ مارس ١٩٨٤ ولد العدد الاول من مجلة «الكومبيوتر والالكترونيات» . وهي اولى المجلات العربية المتخصصة بقضايا الكومبيوتر والالكترونيات .

ثم صدرت مجلة «فارس فيروز» في آب ـ اغسطس ١٩٨٥ . وهي مجلة متخصصة في شؤون الرجل واناقته واسلوب حياته، وتتوجه الى الرجل العربي العصري بآماله وطموحاته وانجازاته وعلمه وخبرته . وتصدر مرة كل شهرين ، بينما تصدر «فيروز» مرة في الشهر. وفي شهر حزيران (يونيو) ١٩٩٠ تحولت «فارس فيروز» الى مجلة شهرية باسم «الفارس» .

كان سعيد فريحه فناناً مرهفاً يعشق كل انواع الفن ، ويؤمن بعالمية الفنون . وانشأ «فرقة الانوار العالمية للرقص الشعبي» . ونشرت مجلة «الشبكة» تحقيقاً عن ظروف واسباب انشاء سعيد فريحه للفرقة ، فقالت انه احس ان الاغنية العربية والفنون الشعبية العربية اصابها الوهن ، واراد مكافحة المرض. فخصص جائزة قدرها ٣٥ الف ليرة للنهوض بمستوى الاغنية وانعاشها وتخفيف وتجفيف جناحيها . واقام سعيد فريحه مهرجاناً للاغنية العربية في كازينو لبنان . ففاز بالجائزة محمد عبد الوهاب ونجاة الصغيرة ونزار قباني عن اغنية «ايظن»، وزكي ناصيف عن اجمل لحن «طلوا حبابنا طلوا» ، ووديع الصافي عن اجمل غناء . وتقرر ان تعلن نتائج المسابقة في مهرجان كبير . ومن اجل هذا المهرجان انشأ سعيد فريحه فرقة الانوار. «وانطلقت الفرقة حاملة رسالة وطنية هي التحليق بوجه لبنان الحضاري، معربة عن ايمان مؤسسها بتراث بلده الفني» .

وانبثقت في عام ١٩٧٣ «مؤسسة سعيد فريحه للخدمات العلمية والاجتماعية» عن «دار الصياد» بهدف تقديم المساعدات الطبية والجراحية ، واعطاء منح التخصص، وتقديم المساعدات المالية للعاملين في حقل الصحافة وابنائهم، وتقديم الجوائز والمنح لاهم انتاج او بحث او دراسة او نشاط يخدم المصلحة العامة . وتتوزع خدمات

المؤسسة بالنسب التالية: اربعون في المئة للمساعدات الانسانية والطبية ، عشرون في المئة للعاملين في حقل التوزيع الصحفي، عشرون في المئة للصحافة، عشرون في المئة للابحاث والدراسات العلمية .[٧]

ان السؤال المشروع الذي يثور بعد معرفة كل اصدارات «دار الصياد» والاطلاع عليها ودراستها ، يتعلق بما اذا كانت الاصدارات الجديدة ضرورية ام لا؟ ثم هل كانت نتيجة مزاج في تنويع الاصدارات ام انها جاءت بناء لخطة مدروسة ومرحلية اعتمدتها «دار الصياد» ونفذتها بالتدريج رغم ظروف الحرب والسنوات القاسية على الدار؟ وقبل كل شيء، هل هذه الاصدارات الجديدة المتخصصة متماشية مع عصر جديد بدأت تعيشه الصحافة العالمية؟

يجيب الدكتور فؤاد ابو زيد في كتابه «الصحافة المتخصصة» على بعض الاسئلة الواردة سابقاً ، ويسجل احصاءات قيمة تؤيد كلها صحة المنحى الذي سارت فيه «دار الصياد» منذ ان اتخذ سعيد فريحه قراره بتحويل «الصياد» الى «دار الصياد» . اي ان تفكيره التخصصي امتد الى لحظة قراره انشاء مجلة «الشبكة» عام ١٩٥٦ وجريدة «الانوار» عام ١٩٥٩ . اما ما تلا ذلك من اصدارات فكانت اكثر تخصصاً في السبعينات ، ثم اتبعها القائمون على الدار والمشرفون عليها بمزيد من الاصدارات المتخصصة بعد رحيل عميدهم .

اليوم عصر الصحافة المتخصصة . ولن تعيش صحافة «بتاع كله» الّا اذا ادخلت التخصص الى اقسام مختلفة في التحرير .

«ونحن نعيش في عصر الصحافة المتخصصة . وما اكثر الشواهد والادلة التي تدعم هذا القول» .

يورد الدكتور فؤاد ابو زيد امثلة واحصاءات كثيرة:

في فرنسا ، مثلاً ، هناك اربعون مجلة نسائية متخصصة!

وفي الوقت الذي يتراجع فيه توزيع الصحف العامة في فرنسا بنسبة ٣ر٣ في المئة ، يزداد توزيع الصحف المتخصصة بنسبة ٢ر١٠ في المئة!

وتفوق نسبة اعلانات الصحف المتخصصة على الصحف العامة . فحين تبلغ في الاولى ٢ر٣١ في المئة من الحجم الاجمالي للاعلانات الصحفية، تبلغ في الثانية ٨ر٢٢ في المئة .

وفي الولايات المتحدة عشرة آلاف مجلة ، بينها ثمانية آلاف مجلة متخصصة. كما تصدر في الولايات المتحدة ٢٠٠ مجلة جديدة كل عام، بينها ١٦٠ مجلة متخصصة .

وتتشابه احصاءات بريطانيا والمانيا الغربية وبقية دول اوروبا الغربية مع الاحصاءات الفرنسية والاميركية . ولا توجد بيانات من دول الكتلة الشرقية يمكن الاستناد اليها ، «لكن الصحف العلمية المتخصصة تشكل ١٤ في المئة من حجم

الصحف التي تصدر في الاتحاد السوفياتي» .

ونقل الدكتور فؤاد ابو زيد فقرات من تقرير اصدرته «اليونسكو» اعترفت فيه بازدهار الصحافة المتخصصة في الوقت الذي تزداد فيه مصاعب الصحافة العامة .

وجاء في التقرير: «تنقسم الصحافة الدورية بصفة عامة الى قسمين رئيسيين: مطبوعات ذات اهتمامات عامة واسعة تستهدف التوزيع الجماهيري ، ومطبوعات تخاطب جمهوراً من نوع خاص. وخلال السنوات الاخيرة تعرض النوع الاول منها لصعوبات متزايدة بسبب المصاعب المالية . وقد فشلت صحف دورية عديدة ذات توزيع جماهيري على امتداد العشرين سنة الماضية، في حين ازدهرت ، بصفة عامة تلك الدوريات ذات الاهتمام الخاص والتي تخاطب جمهوراً بعينه» .

وتتعدى وظيفة الصحافة المتخصصة مجرد نقل المعلومات . وهنا تكمن اهميتها حسب ما يقول تقرير اليونسكو . فالصحافة المتخصصة «تهيىء منبراً للمناقشة ولنشر الافكار والمبتكرات ولتبادل التجارب والخبرات . وقد تسعى مثل هذه الدوريات الى التأثير على متخذي القرارات ، او لتعزيز الابداعية في كثير من المجالات مثل السياسة والآداب والفنون والاعمال والتجارة وعلوم الطبيعة والحياة والتكنولوجيا ووسائل الاتصال. ويخدم قطاع كبير من هذه الدوريات الاهتمامات الثقافية والترويحية عن طريق اشباع الحاجات الفنية والادبية لجماعات متنوعة من القراء» .[٨]

وهناك شبه اجماع بين الاكاديميين اساتذة معاهد الاعلام والصحافة على ان الصحافة المتخصصة في الدول المتقدمة اكثر تحديداً عما هي عليه في الدول النامية . والاهتمام بالصحافة المتخصصة في دول المجموعة الاولى اكبر منه في مجموعة الدول الثانية . فالدول المتقدمة تعيش اعلى مراحل «تقسيم العمل والتخصص الدقيق الذي تتسم به المجتمعات الصناعية . الا ان السنوات العشر الاخيرة شهدت تزايداً ملحوظاً في اهتمام الدول النامية بالصحافة المتخصصة ، خاصة في المجالات ذات الاهتمام الجماهيري الواسع مثل الرياضة والمرأة والفن ، وبدرجات اقل في المجالات الثقافية والمجالات العلمية ذات الطابع الاكاديمي البحت» .[٩]

ويؤكد ما اورده الدكتور فؤاد ابو زيد وتقرير اليونسكو اهمية قرار «دار الصياد» في توسيع دائرة الاصدارات المتخصصة . ولقد كانت الدار سباقة في الفكرة والتنفيذ في الصحافة العربية التي باتت تتجه الى اصدار مزيد من المجلات والدوريات المتخصصة اشباعاً لحاجات السوق وانسجاماً مع زيادة التعليم التخصصي في الجامعات والمعاهد العربية .

والصحافة لا تحتكر مسألة التخصص. ان كل اوجه الاعلام باتت تلجأ الى التخصص ، اذ لم يعد الامر قاصراً على اصدار مطبوعات دورية ، اسبوعية وشهرية وفصلية متخصصة . ان شبكات التلفزيون الغربية توظف اختصاصيين في مختلف

فروع المعرفة ، مثل الطب والفضاء والمال والاقتصاد والرياضة والفن والجريمة . ولحق التطور التخصصي الصحافة العامة ، فأفردت صفحاتها لابواب دائمة عن الاقتصاد والمال والفن والمرأة والرياضة والحياة العصرية والادب والصناعة والسينما والمسرح والتلفزيون . وكانت هذه الابواب زوايا متفرقة ومتناثرة في بعض الصحف، فاذا بها تصبح ابواباً ثابتة ، يومية او اسبوعية ، في الصحافة العامة . وتنشر الصحافة العامة في الغرب ملاحق اسبوعية متخصصة في الجرائد اليومية لان العصر عصر الصحافة المتخصصة الذي بدأته «دار الضياد» قبل غيرها من دور الصحف العربية بأكثر من عشرين سنة .

الفصل الرابع
وفاء نموذجي

الصحافة بنظر الذين يدافعون عنها من ابنائها لا تحتاج الى تبرئة من تهمة ، لانها عدا عن كونها وعاء الموهوبين فهي رسالة الملتزمين بالمجتمع ومرآة الرأي العام في احلامه وطموحاته ، في حركاته وسكناته ، في اعماله ومبتكراته ، في إبداعه وخَلْقِه. تحارب الظلم وصولاً الى العدالة، وتقارع الاستبداد طريقاً الى المساواة . والصحافة مهنة الكشف عن الحقيقة ونقل الواقع بدون زينة وزيادات . وهي عند البعض لا تقبل الاجتهاد وشطحات الخيال. وهي امينة وموضوعية لانها مهنة شريفة ونبيلة .

لكن كثيراً ما يتردد على السنة المظلومين والمقهورين من ابناء الصحافة أنهم ينتمون الى مهنة عقوقة وجحودة ، تنسى ابناءها في اوقات الشدّة، فلا تمد يد العون الى ملهوف منهم ولا الى محتاج .

وبدون قصد اراد سعيد فريحه ان يمنح الصحافة شهادة براءة ، وأن يثبت عكس ما يقوله الذين يرون نصف الكأس فارغاً! ومن اجل ذلك، ذهب سعيد فريحه الى حدود لم يصلها احد قبله، ولن يتجرأ عليها احد بعده. ان موقفه من مصطفى أمين في سنوات سجنه يجسد قمة الوفاء الانساني لأبناء الصحافة وذروة العطاء الخلقي لزميل له في محنة . وفي كتاب محمد حسنين هيكل «بين الصحافة والسياسة» قصة وفاء نبعت من صفاء النفس البشرية وعفوية الخاطر رغم ما يحف صاحبها من مخاطر .

كتب الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل: «حين قلت للابنة الكبرى للاستاذ مصطفى امين انني انوي زيارة والدها ـ لم اكن مدفوعاً بمجرد الاحساس بلحظة عاطفية ـ كنا بالفعل قد اتفقنا على ان احاول .

«وصيغة الجمع «كنا» هنا لم تكن تشملني وانما كانت تضم ـ غيري ـ اثنين من اصدقاء الاستاذ مصطفى امين: اولهما هو الاستاذ «سعيد فريحه» صاحب «دار

الصياد» اللبنانية ، وهو واحد من أبرز الصحفيين في لبنان . وكنت اراه دائماً طبعة لبنانية من الاستاذ «محمد التابعي» . كان مثل «محمد التابعي» فناناً مرهف الحس والمشاعر، وكان مثله يعيش حياته بالطول والعرض، وكان مثله صاحب اسلوب حلو المذاق، نشيط في انغامه رقيق في إيقاعه . وكان «سعيد فريحه» بقلبه معجباً بالاستاذ مصطفى امين .

«اما الثاني فكان الاستاذ «محمد احمد محجوب» ـ رئيس وزراء السودان اكثر من مرة. . . » .

وقابل محمد حسنين هيكل، منفرداً، مصطفى امين في السجن ، وقال له: «على فكره . . . كان سعيد فريحه ومحمد احمد محجوب عندي قبل ايام وكلاهما يبعث لك سلامه . . . وهناك ربطة ادوية وفيتامينات ارسلها الينا سعيد من بيروت» .

«. . . عقدنا نحن الثلاثة ـ الاستاذ سعيد فريحه والاستاذ محمد احمد محجوب وأنا ـ اجتماعاً في مكتبي وجلسنا نناقش: كيف نستطيع مساعدة الاستاذ مصطفى امين؟

«كان الاستاذ سعيد فريحه قد تعرض لنفس التجربة التي تعرضت لها من قبله ، فقد دعي الى مكتب الاستاذ سامي شرف واتيحت له فرصة ان يسمع ويرى بنفسه (. . .) ما يكفي ليضعه في الصورة كاملة . وكان ذلك بناء على رأي الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يحب الاستاذ سعيد فريحه ويستريح اليه» .

«وطلبت موعداً من جمال عبد الناصر لثلاثتنا. وادرك على الفور ما يمكن ان يكون قصدنا، وادهشني انه اجاب على الفور: «تفضلوا في الساعة السابعة من مساء اليوم .

«وذهبنا .

«وبدأ سعيد فريحه فتكلم بلغة العاطفة ، ثم تلاه الاستاذ محمد احمد محجوب فتكلم بلغة السياسة . ثم جاء الدور اليّ وحاولت المزج بين اللغتين! (. . .)

«وانتهت المقابلة بعد ساعة وعشر دقائق، وخرجنا (. . .) وركب الاستاذ سعيد فريحه في سيارتي عائدين من منشية البكري الى «الاهرام» . وفي الطريق كان سعيد فريحه في حالة هستيرية ، مرات يضرب كفاً بكف، ومرات يلطم خديه ويتساءل بلهجته اللبنانية الحلوة:

«يا لطيف. . . شو نعمل . . . شو نحكي!» .

كان ذلك الفصل الاول من قصة الوفاء ، وقد حدث في اوائل مارس ـ آذار ١٩٦٦ . اما الفصل الثاني فقد حدث في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر ـ ايلول ١٩٦٨ حين «وصل الاستاذ سعيد فريحه الى القاهرة من «كان». كان في الريفييرا لقضاء عطلة صيف .

«وحين لقيني «سعيد» غداة وصوله الى القاهرة وجدته يبدأ برواية حكاية قدومه الى القاهرة (. . .)

«وكانت وجهة نظر سعيد فريحه انه لا يساوره شك في ان الاستاذ مصطفى امين مذنب ، لكنه مهما كان الذنب فانه قضى حتى الآن قرابة الثلاث سنوات في السجن ما بين التحقيق والمحاكمة وبعد الحكم . وهذا يكفي .

«ولا بد ان اعترف انني كنت ارى رأيه .

«وطلبنا موعداً مشتركاً من الرئيس جمال عبد الناصر، واتفقنا على ان نحاول كل جهدنا لكي نخرج من هذا الاجتماع بنتيجة . . . على الاقل بوعد.

«وكانت جلستنا مع الرئيس جمال عبد الناصر ممتدة ومثيرة .

لم يكن سعيد فريحه قد قابل جمال عبد الناصر منذ ١٩٦٧ واحداثها الحزينة . كذلك لم يكن بالطبع قد قابله وحرب الاستنزاف يشتعل اوارها .

وتحدث جمال عبد الناصر حول ظروف سنة ١٩٦٧ ، ثم راح يتحدث عن حرب الاستنزاف وعن تصوره لمراحل المعركة الشاملة ضد اسرائيل وتقديره لها وعلى اي نحو ومتى .

وانتقل سعيد فريحه فراح يروي للرئيس كيف وصل خبر اغراق المدمرة الاسرائيلية «ايلات» بصاروخ مصري الى بيروت ، وماذا كانت مشاعر الناس وهم يرون مصر تقوم من ضربة وجهت اليها في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ فإذا هي تواصل القتال في البر وفي البحر .

وتنبه سعيد فريحه بعد ساعة زمان تقريباً الى انه لم يتطرق بعد الى الهدف من زيارته ، فانتهز لحظة توقف فيها الكلام ثم قال:

ـ «سيادة الرئيس» الحقيقة انني أشعر بخجل إذ اثير امامك الآن وسط مسؤولياتك الكبيرة موضوعاً اتمنى لو سمحت لنا ان نعيد عرضه عليك» .

ثم دخل الى القصة كلها ابتداء من «كان» و«الريفييرا» . . .

وابتسم جمال عبد الناصر نصف ابتسامة وقال لسعيد فريحه:

ـ «احدثك عن الحرب ومعاركها والناس الذين يموتون على الجبهة وانت تحدثني عن «الريفييرا». لم ارها في حياتي ولا اريد ان اراها» .

وقال سعيد فريحه بروح الفنان الصافية في وجدانه:

ـ «سيادة الرئيس. . مالنا ومالك . نحن لسنا مثلك مكلفين بحمل خطايا هذه الامة» .

ثم استغرق في الضحك وهو يقول:

ـ «نحن قسمنا الوجود قسمين: لك التاريخ ولنا الحياة!».

وضحك جمال عبد الناصر من قلبه على القسمة غير العادلة!

واحسست ان كلام سعيد فريحه اشاع في جو الجلسة لمسة من المرح فتدخلت قائلاً بالحرف:

«لا احد بيننا يجادل خطورة ما نسب الى مصطفى امين (. . .)

والتقط سعيد فريحه الخيط فقال:

ـ «سيادة الرئيس. . الادانة وحدها كافية ، وقضاء مدة العقوبة كاملة لا يقدم ولا يؤخر، ثم ان جزءاً من العقوبة جرى تطبيقه بالفعل وعاش مصطفى امين حياة السجن ثلاث سنوات، وهذا يكفي» .

ثم انتقل الاستاذ سعيد فريحه الى المستوى العاطفي للمشكلة مرة اخرى وراح يستعطف جمال عبد الناصر ويرجوه ويلح عليه في وعد بتوقيت اذا لم يكن على استعداد للبت فوراً في المسألة .

ورد جمال عبد الناصر، وكانت في صوته نبرة حزم احسست بها:

ـ «ان الوعد الوحيد الذي استطيع ان اعطيه لكما هو ان افرج عن مصطفى بعد إزالة آثار العدوان (. . .).

وللحظة بدا وكأنه لم يعد لاحدنا كلمة يقولها . وبعد هذه اللحظة الحائرة الضائعة قال سعيد فريحه: «هل نأخذ هذا وعداً . . انك ستفرج عنه بعد ازالة آثار العدوان؟» . وقال جمال عبد الناصر: «نعم وعد». ثم اضاف: «وساعتها تعال الى هنا بنفسك لكي تأخذه من باب السجن الى باب الطائرة وتذهب الى الريفييرا»!

وخرجنا . وعند الباب استأذناه في زيارة للاستاذ مصطفى امين في سجن طره ، واذن» .

في الساعة العاشرة صباحاً من يوم السبت في ٢١ سبتمبر ـ ايلول ١٩٦٨ ، «كنا على الباب وهناك من ينتظرنا ليأخذنا الى غرفة مأمور السجن ووراءنا اثنين من الجنود يحملان صناديق التفاح وغيره من المأكولات الفرنسية التي جاء بها سعيد فريحه من بيروت والريفييرا» .

«وجاء الاستاذ مصطفى امين الينا في غرفة المأمور، ثم كان عناق وقبلات وسؤال عن الاحوال والناس واولهم علي امين . ويبدو ان الاستاذ سعيد فريحه اراد تطمين الاستاذ مصطفى امين فقال له: «اننا كنا اول امس مع سيادة الرئيس وحدثناه في امرك ووعدنا خيراً باذن الله» .

«ولم ادرك الاّ متأخراً ان هذه العبارة سوف تحدث آثاراً تمتد الى ابعد بكثير مما قصده الاستاذ سعيد فريحه بها» .

ومرّت الايام والاسابيع والشهور وبضع سنين . مات عبد الناصر، وتسلم انور السادات الرئاسة . ولم ينس سعيد فريحه مصطفى امين في سجنه، فجاء الى القاهرة

لاتمام الفصل الثالث من قصة الوفاء النادرة التي يرويها محمد حسنين هيكل:
«ورفعت سماعة التلفون اتصل بالرئيس السادات ، وكان في بيته بالجيزة ، اقول له «ان سعيد فريحه معي ويريد مقابلته» . وكانت اجابته على الفور: «ليست لديّ الآن ارتباطات . . هات سعيد معك وتعالوا الى هنا فوراً» .
وذهبنا . . وكان الرئيس متشوقاً الى ان يسمع اخباراً عن العالم العربي، وبيروت يومئذٍ خير مركز للتسمع على ما يجري في المنطقة كلها . وراح سعيد يحكي ويحكي . ثم تذكر الموضوع الذي جاء من اجله فأدار دفة الحديث الى شؤون مصر في عصر انور السادات، ثم قال له: «يا سيادة الرئيس . . انك الآن تبدأ صفحة جديدة بعفو عام ، فهل نطمح ان يشمل هذا العفو قضية مصطفى امين؟» .
ولم أكن أتوقع ان يكون رد الفعل لدى الرئيس السادات على النحو الذي وقع ، فقد انتفض في كرسيه وقال:
ـ «جرى ايه يا سعيد. . عفو عام يشمل مصطفى امين؟ (. . .)
وفوجىء سعيد وسأل:
«ولكن يا سيادة الرئيس ما وقع فيه مصطفى نوع من الخطأ ، ونحن لا نجادل فيه» .
وقاطعه الرئيس السادات:
ـ «لم يكن نوعاً من الخطأ (. . .). . سعيد . . اقفل هذا الموضوع ولا تفتحه معي ابداً»!
وتحول مجرى الحديث. وخرجنا من بيت الرئيس السادات في الجيزة الى بيتي بالقرب منه ماشين على الاقدام . فقد كان سعيد ضيفاً على الغداء في ذلك اليوم . ومشينا في الشارع ساكتين ثم قطع سعيد سكوته وقال لي:
ـ «يا ويلي. . . شو هالعنف»!
ثم استطرد:
ـ «مع جمال عبد الناصر كنا نستطيع ان نتناقش . . . وهذا الرجل قفل الباب على الفور»!
وليست تلك نهاية قصة الوفاء ، بل تبعتها فصول كثيرة ، اثار بعضها واغضب سعيد فريحه الذي كان شاهداً على كل ما حدث «بل وكان شريكاً فيه ، ووجد ذلك اللبناني الذي تتمثل فيه صلابة الجبل وتسيل منه عذوبة ينابيعه الصافية ، انه لا يستطيع ان يسكت على الحق او يكتم شهادة.
«وكتب في الصفحة الاولى من «الانوار» تفاصيل ما رآه بعينيه: دفاعي عن مصطفى امين امام جمال عبد الناصر وامام انور السادات وتفاصيل ما قلت امامهما والحجج التي سقتها والحاحي في الافراج عنه ، وذهابي الى السجن ومعي الادوية

والفيتامينات وصناديق التفاح وعلب الدجاج ، والمشاكل الكبرى التي تعرضت لها في ذلك الوقت حتى كادت بعض الشبهات ان تلحق بي انا الآخر . . وغير ذلك كثير»!

ورد سعيد فريحه على تهمة انه ينافق محمد حسنين هيكل، فكتب يقول: «انني اعرف مصطفى قبل ان اعرف هيكل بخمسة عشر عاماً . واذا كان الأمر نفاقاً ، فلماذا انافق رجلاً يلزم بيته ولا انافق هؤلاء الذين يسيطرون على مواقع القوة والنفوذ؟» .

والوفاء ليس طريقاً وحيد الجانب. انه سكة بخطين متوازيين . ومن يسير في احدهما لا بد وان يقطع الآخر بنفس السرعة والقوة . وهكذا كان سعيد فريحه حين ابلغ محمد حسنين هيكل بانه يضع كل امكانيات «دار الصياد» تحت تصرفه لكي يكتب الحقيقة التي كان سعيد فريحه شاهداً عليها .

ويعتذر محمد حسنين هيكل، لكنه لم يغفل في كتابه تسجيل انه من سوء الحظ «ان ظروف الحرب في بيروت وتخزين ارشيف صحف دار الصياد كله لم يسمح لي بالحصول على النصوص كاملة . وهي اقوى الف مرة من تلخيصي السريع لها هنا» .

الفصل الخامس
أخلاق المهنة شروط القمة

يقول توفيق وهبه في كتابه «دروب السياسة» ان شأن الصحافة العربية كان كشأن الجندي الحامل سلاحه في ساحة الوغى. فهو لا يهتم بهندامه واتقان لباسه بقدر إنصباب تفكيره دوماً على الحرب والكفاح. «لذلك نجد الصحافي العربي قد اتقن لغة الوطنية اكثر من اتقانه لغة الصحافة، وقد سحره التغني بحقوق الوطن واستقلاله، وقلما اتجه إلى تعزيز المهنة من الناحية الصناعية، وعذره ان الوطن قبل الصحافة وان الناس يطربون لأناشيد الجهاد القومي اكثر من مظاهر الفن الصحافي. فلا يلومن العربي على انخفاض مستوى الصحافة العربية. فقد كانت هذه في حرب دائمة ونضال قائم، فلا سايرت تطور الصحافة العالمية ولا صرفت جهودها الى تحسين الآلة والإخراج والتنظيم. ذلك ان الصحافة العربية لم تغادر ميادين الحرب حتى في اوقات السلم».

ينطبق هذا الكلام على صحافة عقدي الأربعينات والخمسينات. انما بعد ذلك من العقود فالصحافة العربية، وفي طليعتها الصحافة المصرية واللبنانية، تطورت كثيراً شكلاً وموضوعاً. وظلت صحافة تنافسية، كان عرشها في القاهرة، ثم انتقل إلى بيروت. لكن الصحافة المتنافسة لا تعني التفكك بنظر سعيد فريحه. ان التنافس ضرورة مهنية. «وخارج هذا النطاق (التنافسي) نجد الصحافة العربية اكثر تماسكاً في وجه العدو الإسرائيلي من القادة والحكام العرب» كما يقول سعيد فريحه.

إن صحافة عقود الستينات والسبعينات والثمانينات هي صحافة المعلومات. وسقطت من عالم الصحافة أسماء كبيرة لتمسكها بصحافة الرأي والأسلوب الإنشائي والاثارة الخبرية. وتخاطب صحافة اليوم العقل وتبتعد عن تحريض الغرائز. وتهتم بهندامها، أي شكلها، قدر اهتمامها بتلبية ذوق القارىء الذي أصبحت عينه ثاقبة مثل بصيرته النافذة إلى أعماق الحقائق. والقارىء العربي يحاسب ويقتص ولا

يسامح. انه صارم الاحكام. وهو يشتري صحيفة معينة لأنه يحس بالجهد الذي بُذل في الصحيفة ولثقته بناشرها ومصداقيته، أو بسبب كتابها، أو بسبب كاتب معين. ان القارىء يحس بالعوامل التي أدت إلى انتشار صحيفة ما وان لم يكن يعرف دقائق وتفاصيل هذه العوامل. ومنها الدور الذي قام به الشخص أو الأشخاص الذين مهدوا الطريق لنجاح صحيفة ما منذ تأسيسها ونموها وارتقائها ووصولها الى ما وصلت إليه من انتشار.

وربط سعيد فريحه بين النجاح وثقة القارىء حين قال: «سبب نجاحي ونجاح «دار الصياد»: ثقة القارىء. فثقة القارىء هي قاعدة كل نجاح صحفي. والنجاح القائم على غير هذه القاعدة هو نجاح مؤقت وعابر.

«أما سبب نجاح سعيد فريحه فله أسبابه. أهمها، باعتقادي، انه رجل اخلص في عمله ومهنته. وكذلك انتم ترون معي انه لا يوجد لي اعداء شخصيون. صحيح لقد خالفت الكثيرين عقائدياً وسياسياً، ولكني عبّرت عن رأيي بأسلوب غير جارح. وهذا شيء أساسي في الصحافة. التعبير عن الرأي بأسلوب الإقناع لا بأسلوب الإساءة والجرح»[1].

ويشبّه سعيد فريحه رسالة الصحفي برسالة المصلح. وكلاهما يقوم بمهمة إنسانية تغذي العقل والروح مع فارق حدده سعيد فريحه بما يلي: ان رسالة الصحافي كرسالة كبار المصلحين، مع الفارق ان الصحافي يؤدي رسالته علناً وعلى رؤوس الاشهاد، ويؤديها دائماً وأبداً تحت مجهر القارىء الذي يقيِّم الجهد ويزن العطاء ويحاسب على الاخطاء. وقد يختلف القارىء الواعي والمنصف معك في الرأي، فلا يهم. بل المهم ان يثق بك. وليس أصعب من الحصول على ثقة القارىء سوى الاحتفاظ بها كقاعدة مقدسة للنجاح والإنطلاق».

ويطلق سعيد فريحه وصف الطاحون على النجاح: «الطاحون هي النجاح». والسبب هي القمة. فالذي يصل إلى القمة هو الناجح. واذا لم يستطع البقاء في القمة فإنه ينطحن، يسقط فيتهشم. وهكذا فالقمة نجاح والبقاء فيها مثابرة واجتهاد وعمل متواصل. وكلها حلقات في سلسلة واحدة اذا ضاعت واحدة منها جلس الصحفي أمام حجر الرحى ينظر إلى الطاحون تزحن احلامه ومشاريعه.

ويعطي سعيد فريحه مثالاً على النجاح من الطريق الذي سارت عليه «الصياد»: «وقد أثبتت التجربة ان النجاح متوفر على الطريق الذي سارت عليه «الصياد» ولا تزال تسير منذ ثلاثين عاماً، متنقلة في سيرها من غرفة واحدة إلى غرفتين، ومن دار شامخة إلى دارين. وكانت «الصياد» واحدة وحيدة، فصار لها شقيقات يقوم على خدمتها جميعاً أربعمائة وخمسون عاملاً ومحرراً وموظفاً، كلهم شباب، وأنا وحدي بينهم الذي تجاوز الستين ربيعاً»[2].

والطريق الذي سارت عليه «دار الصياد» انها اعتبرت الصحافة خدمة عامة والتزاماً وطنياً وقومياً تجاه المجتمع. ومن أجل ذلك واجهت الدار، مثلها مثل معظم الصحافة اللبنانية، كثيراً من المحن، وخاضت الكثير من المعارك بدون إسالة دماء. وحاربت الدار على جبهتين. جبهة القوى السياسية المحلية، وجبهة القوى العربية والدولية، التي حاولت السيطرة على الفكر، واقفة دون الحقيقة والوصول إلى الرأي العام. ثم كانت هناك جبهة الإحتكارات المالية التي ارادت ارتهان المؤسسات الإعلامية اللبنانية سواء عن طريق التمويل أو عن طريق الاعلان. لقد كانت فترة الخمسينات والستينات والسبعينات حبلى بمختلف أنواع المعارك والجبهات حتى لقد قيل .انه كان قتل الصحافة اللبنانية احد اهداف الحرب التي نشبت عام ١٩٧٥.

وانتصرت «دار الصياد» لأنها عرفت الحدود بين حريتها وبين تبعيتها، وعرفت ثمن كل اتجاه وطريق. اختارت الحرية على التبعية لقوى الإنغلاق الفكري ولقوى الإحتكارات.

وألقى سعيد فريحه محاضرة تحت عنوان «الصحافة بين الصناعة والإلتزام» معتبراً ان صحافة المعلومات لا تلغي الإلتزام في الصحافة. «نعم (ان) الإلتزام ضروري في الصحافة. ليس فقط لأن الإلتزام يساعد الصحافة على ان تكون ممارسة فكرية مستمرة تنشد الأفضل بعد كل ولادة. بل لأن الإلتزام هو احد المقوِّمات الأساسية التي لا بقاء ولا استمرار للصحافة من دونها. ولكن الإلتزام ليس بدون ثمن. وثمنه المتاعب، الكثير من المتاعب التي قد تصل إلى حد السجن والتشريد ومحاولات النسف والإغتيال. كما انه واجب لا مفر منه خصوصاً في القضايا العامة، وعلى الأخص في قضية وطن ومصير. وفي هذه الحالة قد يصل الإلتزام إلى حد الصمت أو الحذر الشديد في استعمال الحرية التي هي أولى مقومات الصحافة».

ويفضل سعيد فريحه الإلتزام في الصحافة «مهما يكن الثمن ويطل الزمن. ولا أشك لحظة في ان اولادي واخواني وابنائي بالروح في «دار الصياد» سالكون الطريق نفسه، مطمئنون الى انه طريقهم الامثل الى خدمة الصحافة ومن خلالها لبنان والعروبة».

وحدد سعيد فريحه مضمون الإلتزام ومعانيه بكل دقة وجرأة وفروسية. فالإلتزام كلمة تعني الاخلاق والشجاعة والنزعة الإنسانية والإيمان بالحق والحرية، والإلتزام «واجب مقدس في الصحافة، ولعله فيها أكثر قداسة منه في صناعات ومهن كثيرة. وأكرر هنا ما قاله أحد عمالقة الصحافة في الغرب: «اذا كان يحق للمحامي ان يتوكل في أي نوع من القضايا ويتستر وراء اخلاق مهنته المطاطة، فإن على الصحافي ان ينسجم مع معتقداته في الحق والعدل، ومع ارفع مستويات المبادىء الاجتماعية والإنسانية».

ولم تغب هذه القاعدة المثالية عن قلم سعيد فريحه على مدى خمسين عاماً من العطاء الصحفي المستمر والمتنوع. وهي سر استمرارية ونمو ونجاح «دار الصياد» والتي اعتبرها سعيد فريحه أحد أهم عناصر الإنتشار الواسع في عالم الصحافة. فقد قال ان الاساس في عناصر الانتشار:

١ـ الاخلاقية التي اعتنقتها «دار الصياد» وكانت صادقة مع نفسها ومع الناس.

٢ـ الاعتماد على محررين موهوبين

٣ـ مراعاة أذواق القراء الذين أصبحوا اليوم نقاداً حقيقيين وليس من السهولة ارضاؤهم. فالقارىء يقرأ موضوعاً معيناً لكاتب معين وفي مستوى معين. وأصبح وقته ثميناً جداً فلا يهدره في قراءة أي شيء، بل يختار ما يفيده ويثقفه ويرضيه. فالقارىء أصبح اليوم يملي على الصحفي ما يكتب.

«الصحافة في الماضي كانت عبارة عن مقال افتتاحي. أما اليوم فأصبحت صناعة، بل صناعة ضخمة، لكن أساس هذه الصناعة هي الاخلاقية والصدق والترفع عن المصالح الخاصة إلّا مصلحة القارىء والصحافة نفسها».[٣] وبهذه العصامية بنى «دار الصياد» وأورثها روحه المثالية، رافضاً سجن الفكر الإنساني في قوالب جامدة. فالصحافة عنده خلق وابداع وموهبة. والاقلام في الصحافة لا تتقاعد «وكذلك الافكار التي تصنع المؤسسات الصحفية. فقد ظل اللورد بيفر بروك صاحب أكبر أمبراطورية للصحافة في الغرب، يشرف ويوجه ويسدد الخطى في امبراطوريته حتى اخر أيام شيخوخته.

«وتهون الاعمار ومعها الجهد والعرق في سبيل صنع صحافة جيدة ومتطورة لا تتهاون مع الظلم والفساد، ولا تتوانى عن تأدية واجباتها في جميع المجالات، وما أكثرها في هذه المهنة».

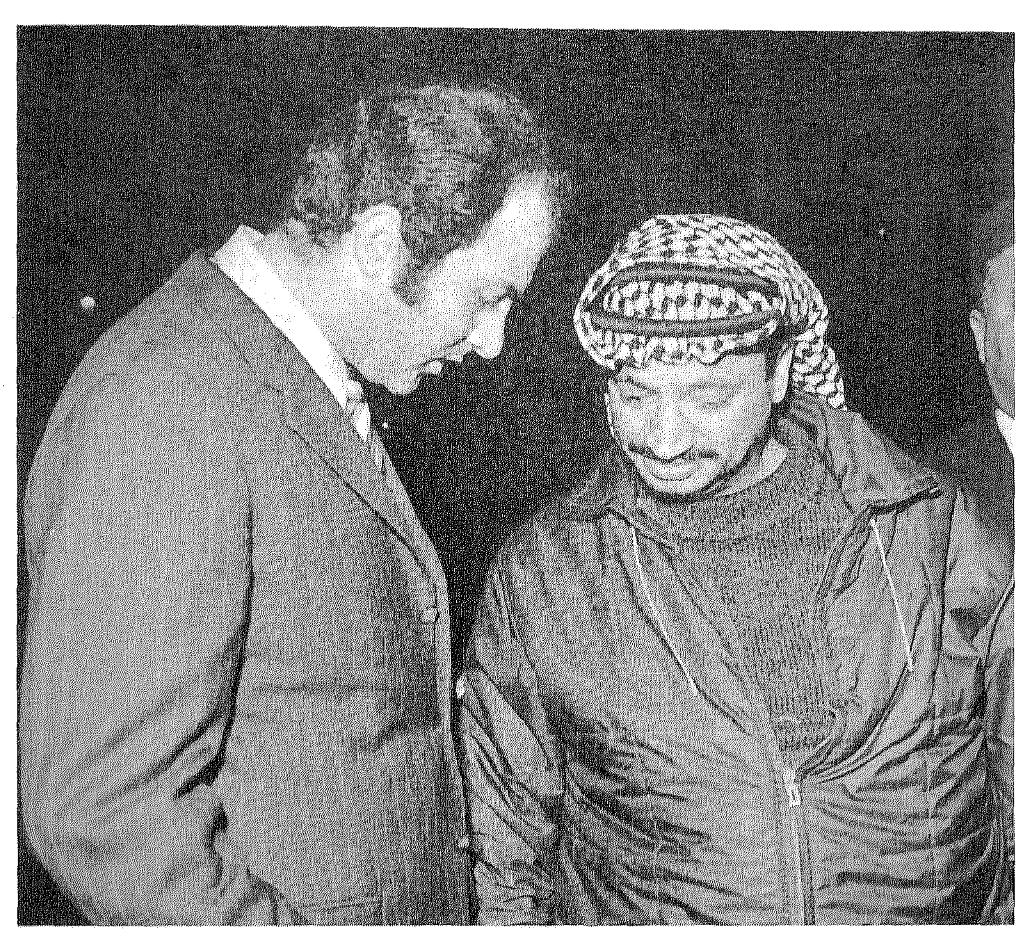
وسعيد فريحه داعية ومرشد اعلامي فذ المواهب. فقد مزج بين الاسلوب الراقي والكفاءة العلمية في المهنة والإلتزام والدعوة إلى احتراف الصحافة التي أصبحت «جديرة بطموح الشباب كالطب والهندسة والوظيفة والهجرة إلى أوستراليا. ولا أقول هذا لمجرد الترغيب والتشويق، وانما اقوله وأنا مؤمن بأن الصحافة، رغم كل متاعبها جديرة باستقطاب المواهب والكفاءات في جيل الشباب، لأنها توفر لهم، عدا العيش الكريم، الشهرة والمجد والمتعة الروحية والاسهام الحيوي في العطاء الخيِّر الدائم الذي تدعمه الصناعة ويباركه الإلتزام.

«وأجمل العطاء في الصحافة، وخاصة في مجال النقد وتصحيح الاخطاء، هو الأسلوب الذي يزدان بالكلمة التي توجع ولا تسيل الدماء...».

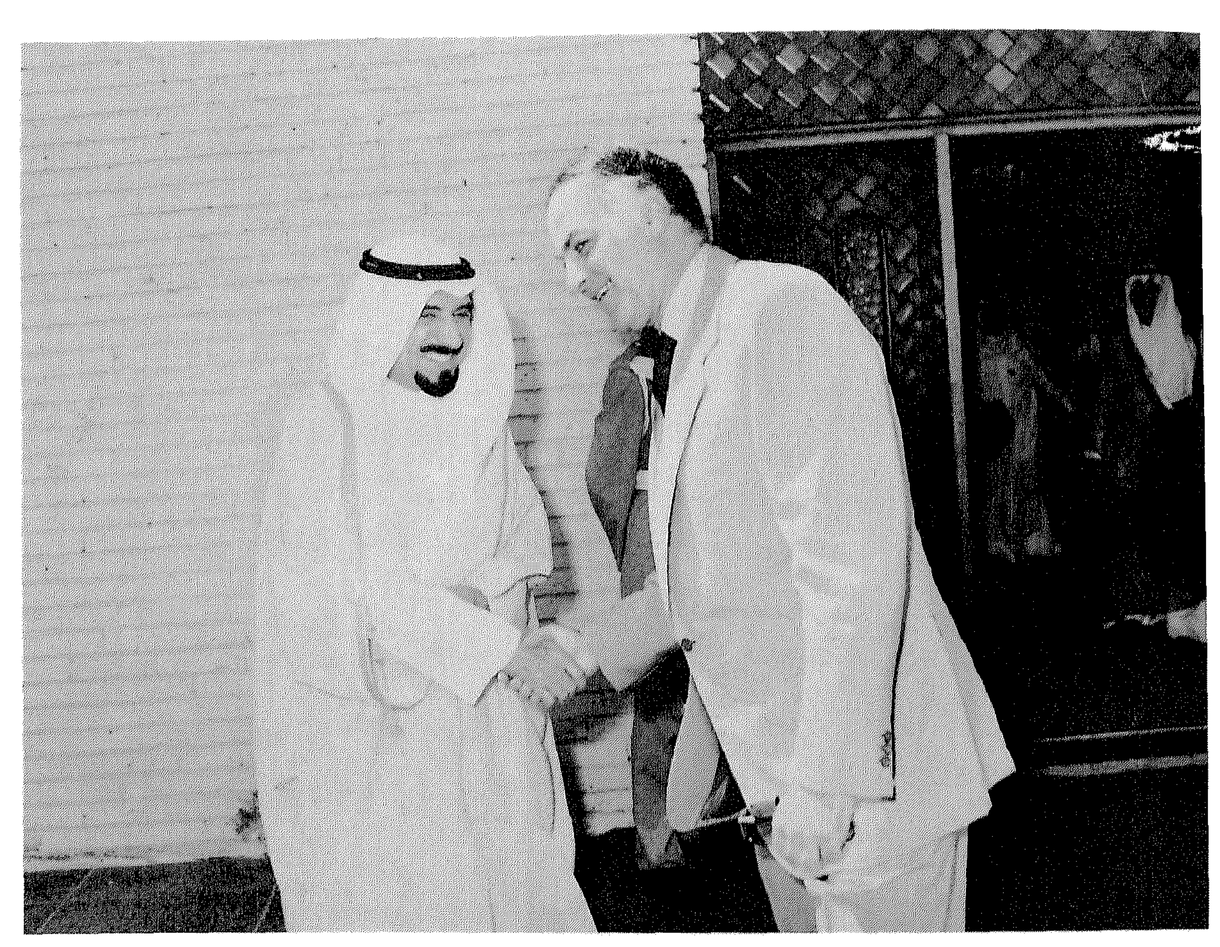
ويضع سعيد فريحه شروطاً معينة لمن يريد ان يحترف مهنة الصحافة. أولها ان يقترن الاحتراف بالموهبة. فالصحافة بنظره موهبة فطرية توجد في النفس لحظة



بسام فريحه مع الرئيس حافظ الاسد



مع الرئيس ياسر عرفات



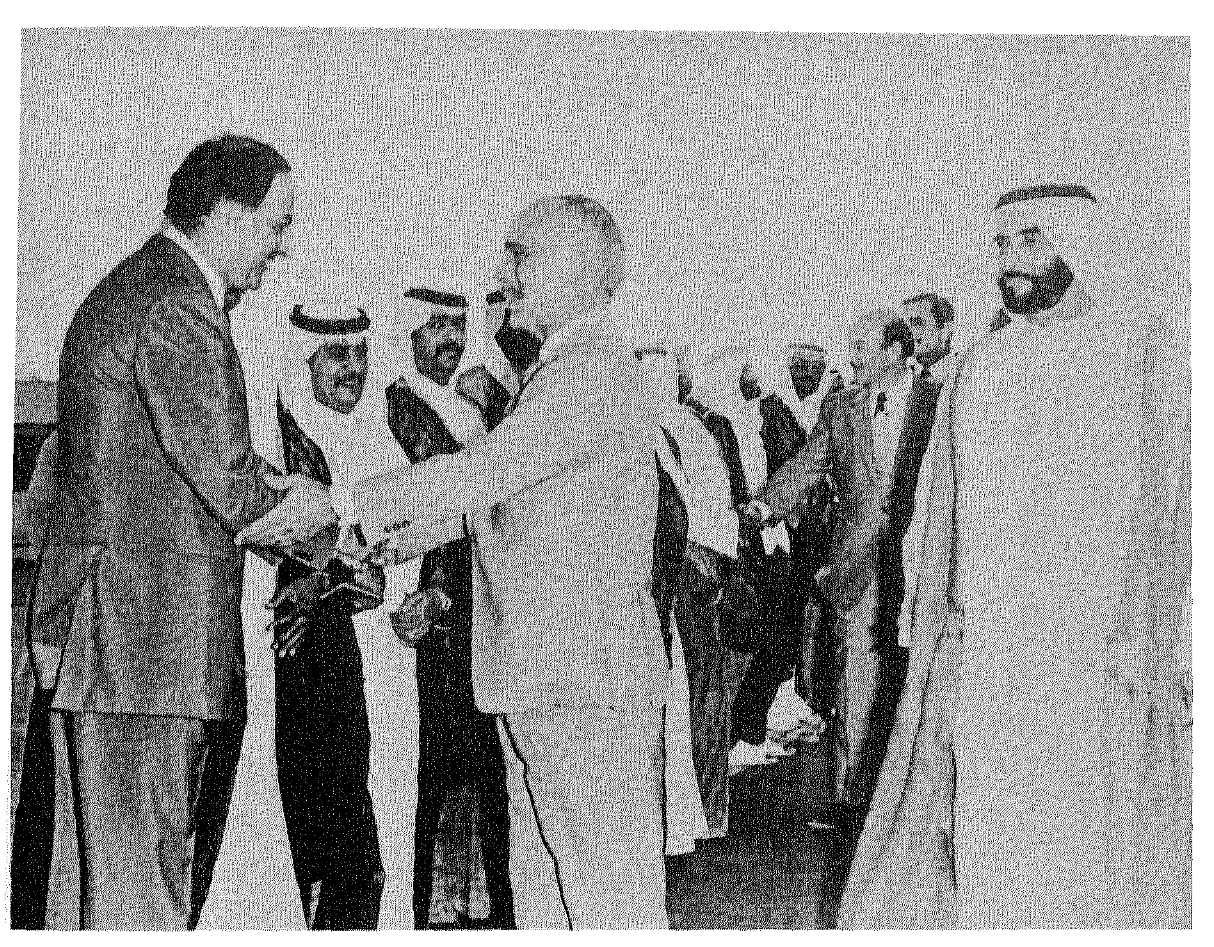
مع سمو امير دولة الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح



مع سمو الامير طلال بن عبد العزيز



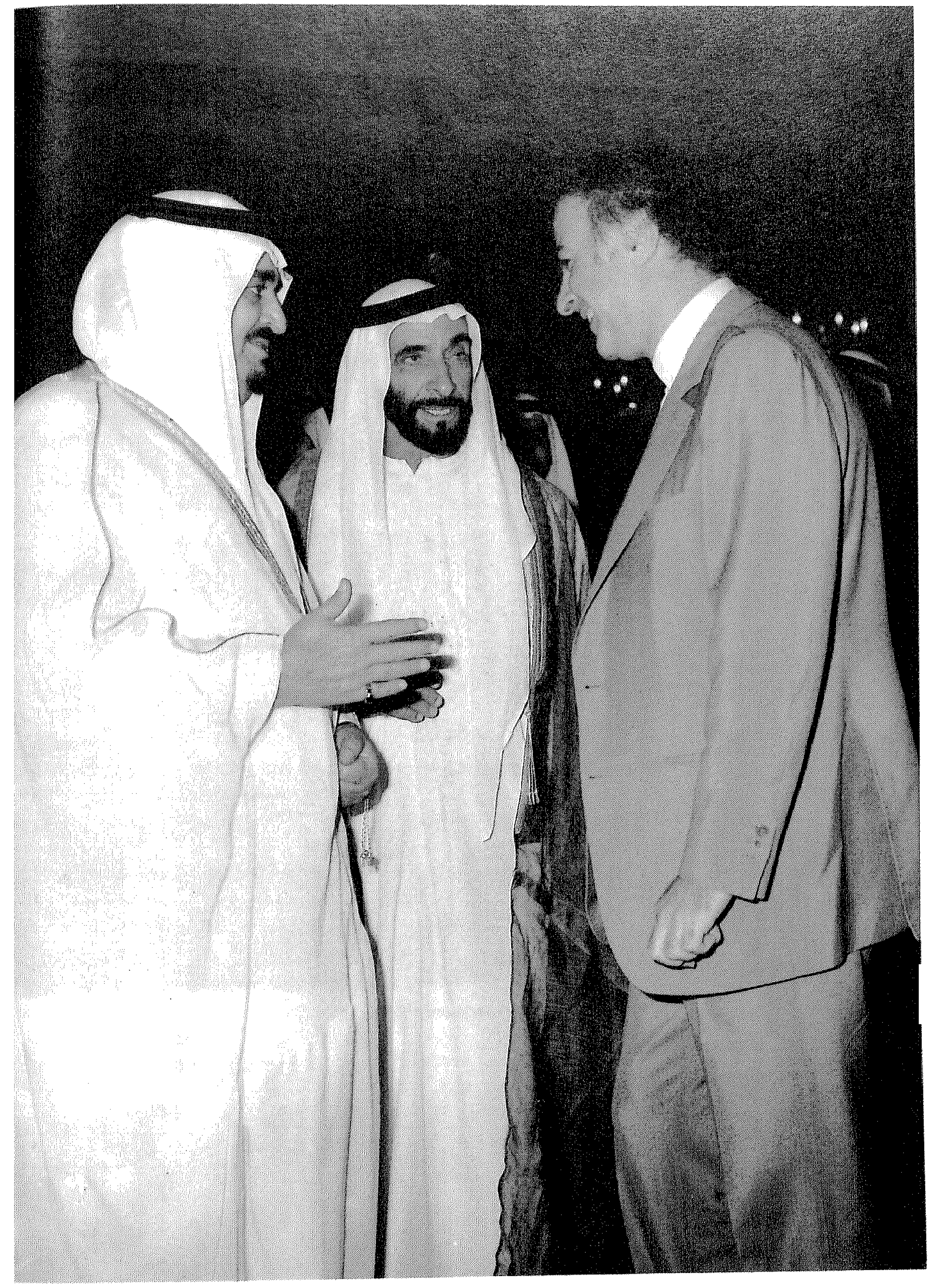
مع سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان



مع جلالة الملك حسين



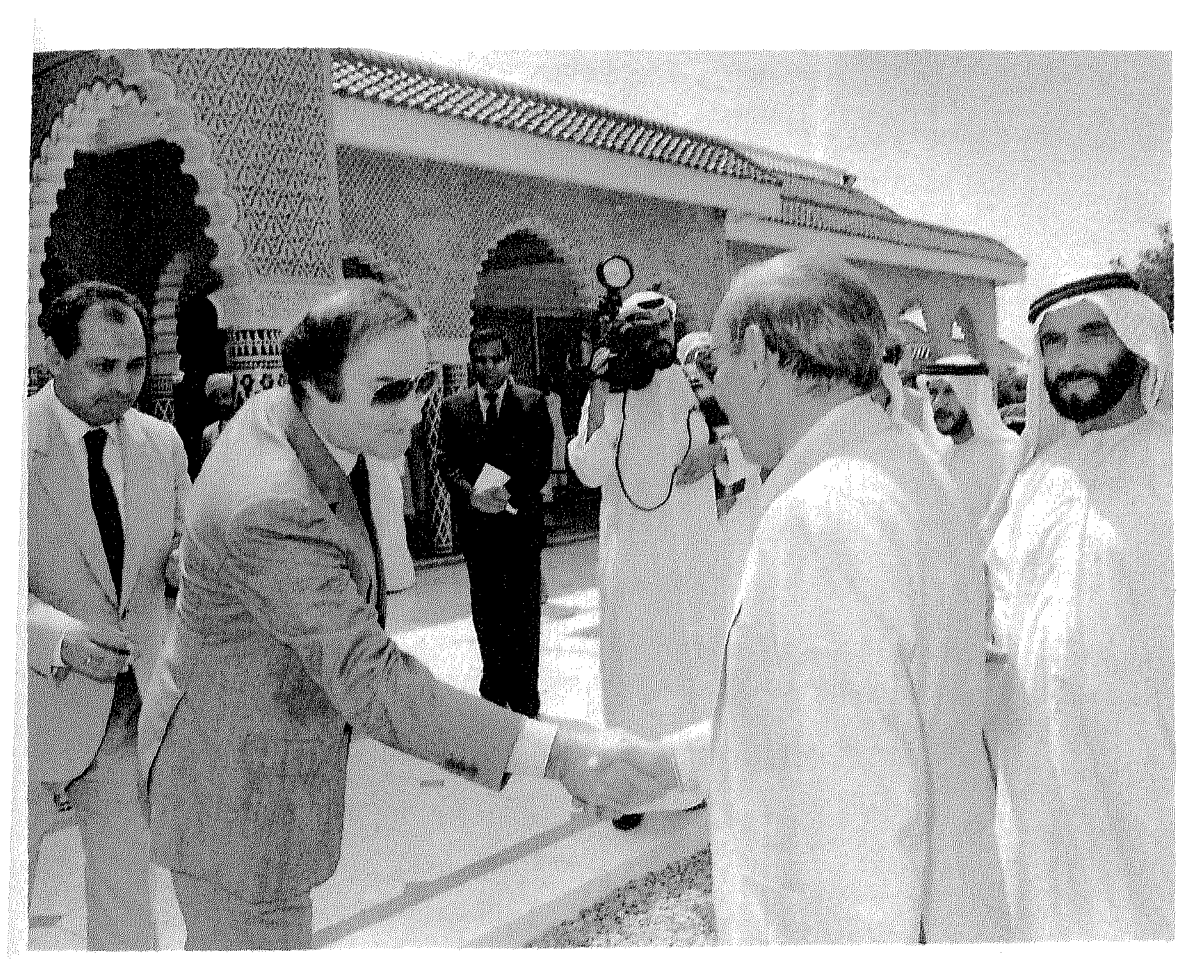
مع الرئيس حسني مبارك



مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان



مع سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز



في استقبال جلالة الملك الحسن الثاني خلال زيارته للامارات العربية المتحدة



مع سمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز



مع احمد خليفة السويدي



في استقبال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران



مع جاك شيراك



على احدى المنصات مع سمو الشيخ زايد



في استقبال ولي العهد الاسباني اثناء زيارته للامارات العربية المتحدة

الولادة. «وإذا لم تكن هناك خامة أصيلة إسمها الموهبة، فإن ألف محاضرة، مضروبة بألف شهادة، لا يمكن ان تصنع الصحافي الجيد... إذا أردت أن تكون صحافياً، فلا تنتظر مني ولا من زملائي المخضرمين ان نكون لك أساتذة ومعلمين. فالصحافة كالشعر والرسم وسائر الفنون، لا تعلّم، وإنما تمارس مع طلابها الحكمة القائلة: أنر. والموهوبون يعرفون طريقهم».

وأعطى سعيد فريحه الإخلاص للمهنة حيزا في دائرة النجاح والتفوق. فقد يكون المرء في الصحافة أقل كفاءة من مهنة الطب والهندسة والمحاماة، لكنه لا يستطيع ان يكون اقل إخلاصاً. «فإذا لم تخلص لهذه المهنة بإعطائها كل وقتك وجهدك وشبابك وعمرك، فلن تحقق لك طموحك، لأن الصحافة عطاء بلا حدود ولا توقف ولا طمع في الثراء».

ومبادىء المهنة لدى سعيد فريحه واحدة في كل مكان فهي لا تتغير حسب البلدان. فالمتاعب هي التي تختلف من بلد إلى اخر. وعلى سبيل المثال، ففي بلاد الأمبراطوريات الصحفية العملاقة، يمكن اختصار الطريق إلى النجاح «حتى لو اقتصر العمل الصحفي على كتابة العناوين أو تحرير زاوية في صفحة الفن أو المجتمع أو الفوتبول» (كرة القدم).

«أما في بلادنا فالصحافة غير ذلك. فهي مهنة البحث عن المتاعب» ليس بمعنى الغوص بهدف رفع المشاكل الى السطح وتعريتها واقتراح حلول لها، انما بمعنى ان المهنة تجلب المتاعب لمحترفيها. فالطريق إلى المجد الصحفي والشهرة «طويل وشاق ومليء بالإرهاق والعذاب والدموع وحبر المطابع. ومليء، في بعض الأحيان، بالقنابل والمتفجرات ورصاص الاغتيال الظالم، بالإضافة إلى السجن والتشريد، وإلى اكتساب العداوات رغم إرادتك وطبيعتك. وهذا أقسى ما في الصحافة عندنا. ولن تنجو من نار العداوة اذا خطر لك ان تقول الحق أو ما تعتقد انه حق...»[٤].

وبغض النظر عن النصوص التي خلفها سعيد فريحه فثمة عناصر اضافية كثيرة في شخصيته وحياته وفنه وموهبته مكّنته من تحويل مجلة «الصياد» من مشروع صحفي فردي، هو كاتبه ورئيس التحرير فيه، الى دار مؤسسية ذات اصدارات متعددة. فما هي تلك العناصر؟

طرحنا السؤال على عدد من الذين عرفوا سعيد فريحه عن قرب أو عملوا معه وكانوا اقرب الناس إليه. فلم يختلف إطار إجاباتهم الذي ضم بين ثناياه شهادات صحفية وسياسية وإنسانية ليس هناك في عالم الصحافة اللبنانية غير سعيد فريحه استطاع الحصول عليها.

يجيب الأستاذ الكبير مصطفى امين على السؤال عارضاً سيرة سعيد فريحه والدار بطريقة السهل الممتنع التي ميّزت أسلوبه وأسلوب سعيد فريحه، ويلخص تاريخ

خمسين سنة بكلمات منتقاة فيقول:

«العناصر التي مكّنت سعيد فريحه من تحويل مجلة «الصياد» كمشروع فردي صحفي هو كاتبه ورئيس التحرير فيه، الى دار مؤسسية ذات اصدارات متعددة، ان سعيد فريحه لم يكن فرداً فقط، كان مجموعة اشخاص. كان الكاتب الساخر، وكان القصصي المبدع، وكان السياسي المؤمن بالقضية العربية، وكان الرجل القادر على صنع صداقات في كل مكان. وكل هؤلاء أصدروا مجلة «الصياد».

«وعندما كبرت «الصياد»، وتحولت من مجلة إلى دار، شعر سعيد فريحه انه لا يستطيع وحده ان يكون كل هذا وان يدير إدارة الدار وإدارة التحرير.

«وهكذا اختار سعيد فريحه نجله الأكبر عصام فريحه ليتولى ادارة التحرير، واختار نجله بسام فريحه لإدارة الدار. وحرص سعيد ان يتدرب ابنه عصام فريحه في «دار اخبار اليوم». وظهرت كفاءته بسرعة. اما بسام فقد تدرب في الجامعة الأميركية ببيروت. وتفوق في الإدارة...

«وفوجئنا بعد ذلك بإبنته إلهام وهي تلتقط الفن الصحفي وتعشق إدارة الصحف. وإذا بها عندما اشتدت الحرب في لبنان تتقدم الصفوف وتتولى الإشراف على الإدارة والتحرير بـ «دار الصياد» وسط دوي القنابل وصوت الرصاص...

«وهكذا تحولت «دار الصياد» الى مؤسسة كبيرة ذات اصدارات متعددة... وقد تم هذا التوسع الضخم بفضل انطلاقة بسام وتأييد والدته السيدة حسيبة وشقيقه عصام واخته إلهام. وهؤلاء الأربعة هم الذين حققوا حلم سعيد فريحه العظيم».

وفي رده على السؤال نفسه وغيره من الأسئلة المتصلة، ركز عصام فريحه، رئيس مجلس إدارة «دار الصياد»، على الأسس التي وضعها المؤسس سعيد فريحه وأصبحت ثوابت دستور العمل في الدار.

يقول رئيس مجلس الإدارة الذي حصل على إجازة الصحافة من الجامعة الأميركية في القاهرة وتدرب خلال سنوات الدراسة في دار اخبار اليوم: «في ردي على أسئلة مؤلف هذا الكتاب الزميل محمد، حول مؤسسة «دار الصياد»، سأركز حديثي على دور المؤسس سعيد فريحه، والأسس التي وضعها للتعاطي بالشؤون الاعلامية والسياسية والعامة.

«وضرورة التركيز تأتي من كون «دار الصياد» لا تزال قائمة على هذه الأسس الصلبة، وتستمد منها القوة لمخاطبة عقول القراء ومشاعرهم، بواسطة الجريدة والمجلات التي تصدرها.

«في مطلع الثلاثينات كان الشاب سعيد فريحه يشق طريقه في عالم الصحافة والكتابة. ومع تركيزه على اصول المهنة، اخذ في اتباع سلسلة من القواعد الاساسية،

وضعها لنفسه، ولم يحد عنها أبداً في المستقبل، بل حرص دائماً على دعمها وتقويتها، ومنها:

- محبة العمل. فالعمل الشاق يحمي موهبة الصحفي والكاتب ويصونها، ويجعل طريق النجاح ممهدة امامها وشبه خالية من الحفر والمطبات.
- التمسك بالمثل العليا، وعدم التخلي عنها وعن المبادىء، أو المساومة عليها، سواء في الحياة العامة أو الخاصة.
- الحرص على تنمية الصداقات، وتوسيع العلاقات مع الناس وتقويتها.
- الرغبة في التطور، والانفتاح على الافكار الجديدة البناءة.

«ورغم المصاعب والصدمات والعراقيل، ظل سعيد فريحه متمسكاً بهذه القواعد، ساعياً إلى تطبيقها بذكاء ومنطق وروح إنسانية مرحة. كذلك سعى دائماً إلى غرسها في نفوس أبنائه وأبناء أسرته الصحفية.

هذه الخصائص في شخصية سعيد فريحه، ساهمت إلى حد كبير في تنمية موهبته الكتابية وإبراز حسه الصحفي. وجاءت مجلة «الصياد»، التي أسسها مع ولادة استقلال لبنان عام ١٩٤٣، تعبيراً صادقاً عن نجاحه في ذلك كلّه».

وحين نتتبع سيرة حياة سعيد فريحه ونراجع كتاباته، نلاحظ انه التزم فعلاً بتلك المبادىء. ولم يُعرف عنه انه وضع المبدأ ومارس ضده، أو تخطاه. ولم تكن غاياته تبرر وسائله، أو العكس. كان المبدأ والممارسة متطابقين ومنسجمين وممزوجين في كل متوحد.

يؤكد ذلك «محتويات العدد الاول من «الصياد»، التي كانت بمثابة إشارات تحدد مسار الرحلة الصحفية التي بدأها سعيد فريحه.

«أولاً، كانت «الجعبة» التي عبر فيها صاحب «الصياد» بأسلوبه المميز وروحه المحببة المرحة، عن تجاربه في الحياة ونظرته إلى المجتمع والعلاقات بين الناس.

«ثانيا، موقف سعيد فريحه الوطني والسياسي وقد حدده في المقالات التي كتبها، والرسوم الكاريكاتورية التي أوحى بأفكارها. فهو مع استقلال لبنان وسيادته على جميع أراضيه، التي كانت تحتلها القوات الفرنسية والإنكليزية في ذلك الوقت. وهو أيضاً مع الوحدة الوطنية بين اللبنانيين، ومع الاخوة اللبنانية ـ العربية، وضد النفوذ الأجنبي، وسيطرة رأس المال على المسؤولين والحكام.

«ثالثاً، كان التركيز على جاذبية أسلوب الكتابة ومعالجة المواضيع، وحسن اختيار المعاونين من كتّاب وصحفيين ومصورين ورسامين.

«ومع نجاح «الصياد»، واتساع انتشارها في لبنان والدول العربية، انتقل سعيد

فريحه الى مرحلة جديدة ارادها دعماً لهذا النجاح وتأميناً لإستمراريته. ففي مطلع الخمسينات، شيّد بناية كبيرة اطلق عليها اسم «دار الصياد»، تكون مقراً لأسرة مجلته، ومنطلقاً لمشاريعه الصحفية الجديدة، وقاعدة عمل في المستقبل لولديه عصام وبسام وابنته الهام.

«باكورة مشاريعه الجديدة، كانت مجلة «الشبكة» التي أصدرها عام ١٩٥٦. ثم أصدر جريدة «الأنوار» عام ١٩٥٩.

«والان، وبعد ٤٧ عاماً على صدور العدد الاول من «الصياد»، لا تزال «دار الصياد» تصدر مجلتها الأم، إلى جانب «الشبكة» و«الأنوار» وما تبعهما من مجلات متخصصة ناجحة، صدرت خلال الستينات والسبعينات والثمانينات، وهي: «فيروز» و«الدفاع العربي» و«الإداري» و«الكمبيوتر» و«سمر» و«سحر».

«وخلف هذه الإستمرارية، والقدرة على التقدم والصمود، تكمن افكار سعيد فريحه، التي يستمد منها أبناء «دار الصياد»، وفي مقدمتهم بسام فريحه، القوة على مواصلة البذل والعطاء من أجل الصحافة»[٥].

وما أسماه عصام فريحه «أفكار سعيد فريحه»، أطلقت عليه السيدة إلهام فريحه «روح سعيد فريحه» حين أجابت عن السؤال نفسه المتعلّق بتحويل «الصياد» الى دار. فهي تقول:

«روح سعيد فريحه هي البداية والنهاية في «دار الصياد». هي العطاء الشمولي المتنوع الذي أحاط بمختلف مواضيع الحياة، بحلوها ومرها. هي القدرة على اختراق حواجز النفس بالكلمة الحلوة، والعبارة اللاذعة، والموقف الجريء التصادمي عند الحاجة. انه الأسلوب الرشيق والشيّق الذي جعل «الصياد» تدخل إلى كل بيت، وجعل مكاتبها تتحول إلى ندوة للسياسيين وأهل الكلمة.

«فالجرأة في قول الحق، كانت من مميزات سعيد فريحه. وإذا كانت هذه الجرأة قد قادته أكثر من مرة إلى السجن، فإنها خلقت حوله تياراً حوّله من مجرد كاتب إلى ظاهرة وطنية.

«ومع تشعب اهتمامات سعيد فريحه، تشعبت نشاطاته ومجالات تفكيره، فأصدر «الأنوار» ليكون على انغماس يومي بالسياسة، وليرسي قاعدة دار صحفية كانت «الشبكة» قد عززتها، وهي المجلة التي أحاطت بمجال الفن والحضارة من كل وجوههما.

«ثم كرّت سبحة الإصدارات لكن في مجالات متخصصة، تتجاوب مع تطلعات الاجيال الصاعدة .ومختلف فئات الشعب والمسؤولين في لبنان والعالم العربي.

«أعود لأقول ان روح سعيد فريحه وأسلوبه الذي يجرح ولا يسيل الدماء، وعطاءه الذي استمر حتى اخر يوم في حياته، كانت العوامل الرئيسية في ارساء قواعد «دار

الصياد» وفي اطلاق مطبوعاتها المتنوعة. وهي قواعد ما زالت راسخة وتشكل السياسة الثابتة لـ «دار الصياد». [٦]

ويقوم الدكتور محمد جابر الانصاري بعملية ربط وتحليل وتفسير لكل العناصر التي سبق وان عددها مصطفى امين وعصام فريحه والهام فريحه، فإذا بنا أمام لوحة متفردة إسمها سعيد فريحه.

يقول الدكتور الانصاري: «كان الاحتمال بعيداً بالنسبة لسعيد فريحه ان يحقق هذه النتيجة[٧] لعاملين.

«العامل الاول مرتبط بإمكانات البدايات المتواضعة بالنسبة له. والعامل الثاني ان سعيد فريحه صاحب اسلوب فني ساخر. وعادة يميل أصحاب هذا النوع من الأساليب الى التفرغ إلى كتاباتهم الفنية الخاصة وعدم التفكير في شيء اخر، خاصة في تأسيس مؤسسة. فالطبيعتان مختلفتان تماماً. ففي أغلب الحالات التي من هذا النوع، يعطي الفنان صاحب المزاج، صاحب الأسلوب الساخر بالذات، كل حياته لهذا الفن. وكان يمكن لو غير سعيد فريحه ان يقول لنفسه: أنا عندي هذا الأسلوب، فلماذا لا أتفرغ له وأكتب فيه وأخلِّص نفسي من كل «دوشة» العمل وتأسيس المؤسسات؟

«ورغم ان هذا الاغراء كان وارداً بالنسبة لسعيد فريحه، الّا ان عناصر اخرى كانت في شخصيته، وازنت المسألة. واستطاع سعيد فريحه ان يحافظ على طابعه ككاتب ساخر وفنان، وعلى مزاج الفنان ونفسية الفنان وموهبة الفنان. وفي الوقت نفسه استطاع القيام بدور المؤسس. وعادة لا يكون الفنان مؤسساً. يكون مؤسساً لفنه ولا يكون مؤسساً لمؤسسات».

ثلاثة عناصر اساسية ساعدت سعيد فريحه على ان يحوّل صحيفته الاولى الى مؤسسة كما يقول الدكتور الانصاري.

«أولاً، انه استطاع ان يمتزج بالتيار العام في العالم العربي والمناخ العام في العالم العربي. لقد وقف سعيد فريحه في الاتجاه الصحيح، وهو الاتجاه العربي القومي العام. يعني انه لم يتمترس بمدرسة معينة أو في زاوية حزبية معينة أو في اقليمية معينة، إنما تعاطف مع المشاعر العربية والعقل العربي من خلال التيار العام الغالب في العالم العربي الذي هو التيار الناصري الوحدوي القومي.

«هذه نقطة بداية هامة بالنسبة لتحويل سعيد فريحه مجلته إلى مؤسسة صحفية عربية عامة ودائمة. ان تلاحم سعيد فريحه مع التيار الناصري الوحدوي القومي ساعده على ذلك. ونحن عرفنا مجلة «الصياد» وجريدة «الانوار» بالذات من خلال هذا التيار وتلاحمهما مع الوطن العربي ككل. ان هذا التلاحم مهّد الأرضية العامة.

«ثانياً، قدرة سعيد فريحه على خلق العلاقات الإنسانية. انه إنسان متمكّن من خلق العلاقات الإنسانية الحميمة. وهذا رأس مال ضخم في الواقع في نجاح المؤسسات، خصوصاً في منطقة مثل المنطقة العربية والتي للأمور الإنسانية والأمور الذاتية فيها قيمة كبيرة.

«وتخدم هذه العلاقة صاحبها من ناحيتين: ناحية العلاقة مع المسؤولين واصحاب القرار واصحاب التأثير. اي ان خلق علاقة إنسانية وعلاقة حميمة معهم يساعد المؤسسة في كثير من المجالات.

«والناحية الثانية هي خلق علاقة إنسانية مع العاملين في الدار. ان سعيد فريحه استطاع ان يخلق نوعاً من الأسرة في «دار الصياد». وليس فقط في الشركة العاملة.

«انا اشتغلت في «دار الصياد» من الداخل ورأيت هذه العلاقات. رأيت العلاقات اثناء حياة سعيد فريحه وبعد سعيد فريحه من خلال أبنائه. ولاحظت وجود شبكة من العلاقات الإنسانية. ان ارتباطي بـ«دار الصياد» الى الان هو من خلال العلاقات الإنسانية لأن علاقاتي المؤسسية مع الدار انتهت. لكن صلتي لا زالت مستمرة لأن العلاقة الإنسانية اقوى من العلاقة المؤسسية.

«يعني توجد علاقة انسانية مع كبار المسؤولين وأصحاب القرار في الوطن العربي رغم اختلاف انتماءاتهم ومنازعهم ومشاربهم. وهذه نقطة لصالح سعيد فريحه. لقد كان صاحب اتجاه واضح الاّ انه كان صاحب حوار مع مختلف الاتجاهات حتى تلك المتناقضة معه. فكان يجمع بين الاثنين معاً. وهذه خاصيّة ليست متوفرة كثيراً في العالم العربي.

«وانعكس هذا أيضاً، ومن خلال كتاباته، على خلق علاقات انسانية مع القراء، مع جمهوره. ان قدرة سعيد فريحه على خلق العلاقات الإنسانية الحميمة اشتغلت في الأبعاد الثلاثة التي ذكرتها. وهذا ساعد كثيراً على ابقاء المؤسسة».

والعنصر الثالث والأخير، الذي مكّن سعيد فريحه من تحويل «الصياد» الى دار ان «سعيد فريحه استطاع ان يجد استمرارية في أبنائه لمواصلة الرسالة. وهذا مهم جداً. فعادة ما لا يجد المؤسس من يحمل الرسالة ويواصل المسيرة. ان نجاح سعيد فريحه انه ورَّث لأبنائه خصائص لا تُوَرَّث في العادة، وخاصة في مجال العلاقات الإنسانية. وبقدر ما تكون «دار الصياد» مخلصة لنقطة البداية، وخصوصاً العنصر الاول - اي التزامها بخط البداية، الخط العربي العام واقترابها من الروح القومية ومعالجتها لمشاكل الوطن العربي ككل وعدم الإنعزال في الشؤون الاقليمية - بقدر ما تمتلك الضمانة لمواصلة الرسالة»[٨].

الفصل السادس

تحديث وعصرنة الإدارة

لم يكن تطور «دار الصياد»، من حيث الطباعة التكنولوجية وادواتها او من حيث تنويع اصداراتها، عشوائيا او طفرة واحدة. ان اتباع مبدأ الخطط الخمسية والمرحلية سياسة تبناها سعيد فريحه ونفذها منذ انشأ «دار الصياد» في الحازمية عام ١٩٥٤. ومع إقامة تلك الدار تحولت مجلة «الصياد» الى مؤسسة بقي سعيد فريحه ركيزتها الاساسية الى عام ١٩٦٠، وهو العام الذي شهد ادخال تنظيم هيكلي جديد على «دار الصياد». وقد جهّز سعيد فريحه، عام ١٩٥٤ ايضا، الدار بمطبعة كاملة كانت تعمل بسرعة ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمئة) نسخة في الساعة. وصارت «الصياد» تصدر بستين صفحة ملونة. وهذا حدث مبتكر بمقاييس عقد الخمسينات[1].

عام ١٩٦٠ قرر سعيد فريحه ان ينشىء تنظيما اداريا جديدا للدار يقوم على قواعد مؤسسية من حيث توزيع الاختصاص والمسؤوليات. فأسند رئاسة تحرير «الانوار» الى نجله عصام فريحه، وسلم الادارة العامة للدار الى بسام فريحه. وكان ذلك القرار ثورة ادارية لان سعيد فريحه خرج على المألوف في الصحافة اللبنانية حيث كان المالك هو رئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة والمحرر والكاتب والآمر الناهي. لقد تخلى سعيد فريحه طوعا عن القرار المالي، وبدأت «دار الصياد» التركيز على مرحلة المستقبل بقيادة المدير العام الجديد. وانطلق بسام فريحه الى الأفق العربي باسلوب جديد وطريقة مميزة ومفهوم حديث، عصري، لعلم الادارة. واخذت «دار الصياد» تتوسع مضيفة عناصر جديدة الى ما هو موجود من الموظفين. وفي عام ١٩٦٨ بدأ التخطيط لتشييد بناء جديد إضافي بعد ان ضاقت الدار بالعاملين فيها.

حدث التطور، الاداري والتقني، في «دار الصياد» نتيجة اعتراف سعيد فريحه بعدم جدوى الفردية في الصحافة. فقد قال في محاضرة له في الجامعة الاميركية في بيروت ان الصحافة «لم تعد مهنة تقوم على الفردية والجهد الشخصي. صارت في

امس الحاجة الى حشد مختلف الجهود والكفاءات والمواهب، كما صارت تنافس اكبر المؤسسات في مستوى الاجور والمرتبات وضمان العيش الكريم».

وفي مناسبة ثانية تحدث سعيد فريحه عن تطور العمل الصحفي وربطه بالثورتين الادارية والتقنية فقال: «ان دار الصياد لم تعد تعتمد على شخص واحد، ولم تعد صحافة كلاسيكية، بل صارت تضم اشخاصا كانوا في الماضي يعملون في مؤسسات وشركات تركوها من اجل «دار الصياد»، ومن اجل تطور العمل الصحفي، وبهذا صارت الصحافة تستقطب الكفاءات في جميع اقسامها»[٢]

ضاقت «دار الصياد» بالعاملين فيها فأشترت ارضا جديدة الى جانب الدار في الحازمية. واستوردت آلة طباعية ضخمة لم يكن يوجد مثلها سوى في اليابان والولايات المتحدة. فهي تطبع الورق الرولو بأربعة الوان في وقت واحد وبسرعة ثلاثين الف نسخة في الساعة الواحدة، وكل طبعة تعادل ١٦ صفحة من حجم مجلة «الشبكة» او مجلة «الصياد». وقال سعيد فريحه، في حينه، ان هذا المشروع «سيكون اكبر مشروع استثماري صحفي في الصحافة اللبنانية والعربية من الآن وحتى عشر سنوات مقبلة، وهو تعبير تام عن التطور الطباعي والتكنولوجي في الحرفة».

وحدد سعيد فريحه فترة العشر سنوات لانه يؤمن بالمنافسة المهنية ويعتقد ان المؤسسات الصحفية الاخرى ستتبنى مشروع «دار الصياد» التطوري وتشتري آخر ما توصلت اليه التقنية من آلات طباعية. ايضا، جاءت فترة التحديد بعشر سنوات لان سعيد فريحه، وقد عاش تطور الصحافة اللبنانية والعربية والعالمية، ادرك ان جديد اليوم يصبح قديم البارحة في الثورة التكنولوجية العامة التي يشهدها العالم.

ويتبين مما كتبه سعيد فريحه في حقبة السبعينات، ومما اعطاه من احاديث اذاعية وتلفزيونية وصحفية، ان التطور في «دار الصياد» تخطى كونه تطورا في الآلة الطباعية واشادة بناء جديد، الى الانسان ذاته. الانسان الذي يدير الآلة ويشرف على الدار ويكتب الكلمة المطبوعة. فالتطور الصحفي، بنظر سعيد فريحه، «ليس فقط عبارة عن تطور في الآلات، بل هو تطور كامل في الفن الصحفي، في الخبر والمقال والموضوع. وقد اثبتنا مرارا اننا حريصون على هذا التطور، وان التطور الطباعي يسير الى جانب تطور المضمون والفكر».[٣]

وكرس سعيد فريحه مبدأ التطور في رسالة وجهها الى العاملين في الدار في مطلع عام ١٩٧٣ حين اعلن عن تبنيه لخطة خمسية جديدة. وكتبت «الانوار» معقبة على رسالة سعيد فريحه «الذي بنى هذه المؤسسة الكبرى». فهو لم ينجح ويتفوق لانه التزم بالمبدأ فقط، «بل لانه التزم بالتطور والتجدد والابداع. وهذا طبعه.. ان الخطة التي ترسم مراحل صعود «دار الصياد» في السنوات المقبلة لا يمكن ايجازها في رسالة، ولكن الاطار الذي عرضها فيه سعيد فريحه كشف الاسرار والمفاجأت المنتظرة على

صعيد تطور صحف الدار». (٤)

وانطوت الخطة الخمسية على «نهضة شاملة في صحف الدار ومنشوراتها ومطابعها واجهزتها الادارية والفنية وشبكات اخبارها وتوزيعها في لبنان والبلاد العربية وعواصم العالم الكبرى» كما جاء في رسالة سعيد فريحه الى اسرة الدار في مطلع عام ١٩٧٣.

وتضمنت الخطة عدة مشاريع كان بينها:

١ ـ اصدار مجلات جديدة متخصصة. وتقرر اصدار هذه المجلات المتخصصة بعد ان اثبتت الدراسات التي قامت بها اجهزة الدار حاجة القارىء العربي اليها.

لكن حاجة القارىء لمثل هذه المجلات لا تكفي وحدها. فمقابل هذه الحاجة لا بد من توفر قدرة لدى «دار الصياد» للتصدي لاعباء الاصدار. ولولا هذه القدرة لما امكن تحويل مشاريع الخطة الخمسية الى مجلات متخصصة تصدر عن الدار.

٢ ـ كان لا بد من مشروع مكمّل لعملية اصدار المجلات المتخصصة، فتضمنت الخطة الخمسية الانطلاق في ميادين النشر، ذلك ان المؤسسة الصحفية لم تعد خبرا وتحقيقا وقصة وقطعة ادبية او نقدية فقط، بل المؤسسة الصحفية هي جزء اساسي في الحركة الفكرية لاي بلد من البلدان. هكذا فهمها سعيد فريحه وهذا ما اراده لـ «دار الصياد».

٣ ـ توسيع قسم الخدمات الصحفية الذي وضعت «دار الصياد» نواته قبل عام واحد على الخطة الخمسية، وتنويع انشطة وحقول اختصاصه.

٤ ـ توسيع مشروع الميكروفيلم للمحفوظات والارشيف والمعلومات. (٥)

٥ ـ تشغيل اضخم آلة طباعية في الشرق الاوسط ذات امكانات فنية هائلة.

٦ ـ تشغيل احدث آلة لفرز الالوان.

والهدف النهائي للخطة الخمسية هو التمشي مع تطور الصحافة تحريرا واعلانا. اي التطور تكنولوجيا حسب ما بدأ يظهر في اوروبا واميركا واليابان من اتجاهات وخطط ومشاريع تهدف الى تطبيق آخر ما توصلت اليه التكنولوجيا في علم الصحافة.

ان احلام وطموحات سعيد فريحه بدأت تتحول الى حقائق دفعت بنقيب الصحافة اللبنانية رياض طه الى التنبؤ بما سيكون عليه شكل الصحافة اللبنانية عام ٢٠٠٠، فأعطى صورة قريبة جدا من احلام وطموحات سعيد فريحه التي تحولت الى حقائق تعيشها اسرة «دار الصياد»، وخاصة لجهة ما تضمنته الخطة الخمسية إنسانيا، والتي كرست بشكل نهائي ما كانت الدار قد سارت عليه عرفا لسنوات قليلة ماضية. فقد سبقت الخطة الخمسية التطورية، التكنولوجية، خطة انسانية رائدة في «دار الصياد».

وكان سعيد فريحه يطلق على الخطط الانسانية اسم «انجازات داخلية» ادراكا منه بان اية فائدة تلحق بالعاملين في الدار هي إنجاز يفوق كل انجازات التطور التقني. فالبشر هم العنصر الاساسي، وهم اصحاب «الجهد المنبعث من علم وكفايات ومؤهلات مقرونة بالاخلاص والرغبة الدائمة في تقديم عطاء افضل» كما كتب مرة للعاملين في الدار.

ومن الانجازات الداخلية والانسانية:

١ ـ منح العاملين في الدار الشهر الثالث عشر.[1]

٢ ـ الانضمام الى صندوق الضمان الاجتماعي. وتفخر «دار الصياد» بان يكون واحد وتسعون في المئة من المحررين والعاملين فيها مسجلين في صندوق الضمان، وان تعويضاتهم في فرع نهاية الخدمة مسددة منذ انتسابهم. واما التسعة في المئة الباقون دون تسجيل فبسبب الملابسات المتصلة بصندوق تقاعد الصحفيين. علما بان ادارة الدار على الرغم من عدم انضمامهم الى الصندوق، فإنها تأخذ على الدوام الاحتياطي اللازم لتعويضاتهم من اجل دفعها حين حل الاشكال. ان «دار الصياد» هي المؤسسة الصحفية اللبنانية الوحيدة التي سبقت قانون الضمان الاجتماعي الذي صدر عام ١٩٧٢ والقاضي بضم محرري الصحافة الى صندوق الضمان.

٣ ـ اصدرت «دار الصياد»، بدءاً من كانون الثاني ـ يناير ١٩٧٣، نشرة داخلية شهرية «غايتها زيادة الروابط الاجتماعية والمهنية والفكرية وثوقاً بين افراد اسرة الدار التي زاد عددها وكبر حجمها ولتكون صلة وصل بين المقيمين منهم والمنتشرين في ارجاء العالم في مكاتبها».

تطلع سعيد فريحه الى انسان اليوم فرأى فيه اشراقة الغد وامل المستقبل. وكل ما منحه الى اسرة الدار من رواتب مرتفعة، وما نسجه بين افرادها من روابط انسانية نبيلة، إنما كان تعويضاً عن معاناة ذاتية عاشها هو شخصيا في سنوات عمله الاولى في الصحافة. لقد ذاق الحرمان والجوع، ومشى حافيا، وتشرد وسجن، وعاش الهجرة القسرية بعيدا عن الدار والوطن.

وبنفس الروح تطلع سعيد فريحه الى انسان الغد في البلدان العربية، مؤمناً انه اكبر من اي سجن فكري، واراد من «دار الصياد» ان تطلق ذهن القارىء العربي بعيدا عن سجن القوالب الجامدة، وان تعطيه المعلومات في شلالات متدفقة من المجلات والجرائد السياسية والاجتماعية والمتخصصة، سواء في «الصياد» و«فيروز» و«سحر» و«الاداري» و«الانوار» و«الكومبيوتر».

ويقول مدير عام دار الصياد بسام فريحه[2] انه من المؤكد ان تتطور الدار اكثر فيما تبقى من القرن العشرين. وقد اعدت خططا كثيرة لمطلع القرن الحادي والعشرين.

ان كل شيء يتعلق بالوضع اللبناني. لكن على الرغم من شمولية المأساة اللبنانية فـ «دار الصياد» مستمرة في اصداراتها المتنوعة تأكيدا لاستمرارية لبنان.

ان التلفزيون خطف البريق الاعلامي. وتوسع دور النشر بالشكل الذي اقدمت عليه «دار الصياد» لا يتماشى مع القول السابق المنسوب الى خبراء في الاعلام.

«لم يخطف التلفزيون ولا الاذاعة البريق الاعلامي. فكلاهما قطف من ثمار التقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققه النصف الاخير من القرن العشرين. ولم تكن الصحافة بعيدة عن جوانب كثيرة من هذا التطور. ان التلكس والفاكسيميلي والاقمار الصناعية والكومبيوتر والليزر، اخيرا، مكّنت الصحافة من الانتقال السريع عبر البلدان والقارات. واليوم يمكن ان يضغط المرء على زر وهو في مكتبه فيحصل على تعليقات وتحقيقات «اللوموند» و«ازفستيا»، و«البرافدا»، و«نيويورك تايمز» و«التايمز»... في لحظة واحدة.

«لقد قطف التلفزيون جانبا من البريق الاعلامي وبقيت للصحافة ميزتها الاولى والمتفردة، وهي عمق التحليل وجدية الاخبار والتحقيقات والعروض. وتبقى الصحافة مرجعا للباحثين والدارسين، الباحثين عن الحقيقة في اعمق مواقعها. وهنا لا يستطيع التلفزيون، بصورته السريعة وتحقيقه او خبره المقتضب، ان يدخل في المنافسة. لهذا فإن توسيع دائرة النشر الصحفي لن تتوقف، سواء في التنويع، سواء في زيادة عدد الصفحات. وهذا ما اثبتته التجارب اليابانية والاوروبية والاميركية، وهو ما تثبته تجربة دار الصياد وغيرها من دور الصحف والنشر العربية الكبرى في مصر والسعودية والكويت».



الفصل السابع
العميد المؤسس والأبناء

وصف سعيد فريحه، في حديث اجرته معه مجلة «اسكتش» الصادرة باللغة الانكليزية في بيروت، نجله بسام، مدير عام الدار، بانه ساحر عمل [١].

وتحدث سعيد فريحه في مقابلة تلفزيونية عن احلام بسام فقال ان «مؤسسة سعيد فريحه للخدمات الاجتماعية والعلمية» هي من احلام بسام. انها فكرته. لقد اراد ان يكرم والده فأنشا هذه المؤسسة التي تسهم كل عام بمبلغ مالي معين، ويسهم معها الاصدقاء بدورهم» [٢]

وفي أواخر ايامه قال سعيد فريحه في حوار صحفي، «انا في السبعين من العمر، متزوج ولي ثلاثة اولاد (هم) عصام وبسام والهام. وثلاثتهم يعملون في الصحافة وفي «دار الصياد» نفسها، وقد ورثوها في حياتي وقائمين فيها على اكمل وجه وخاصة بسام الذي لا يداوم في الدار تاركا مهمته لاخته واخيه ويتجول في العواصم العربية لملاحقة اعمال الدار. واعتقد انه ناجح جدا وله علاقات ممتازة لم استطع انا ان اكسبها طيلة خمسين سنة في عملي الصحفي واكثر . . .» [٣]

وتوحي الفقرات السابقة، وهي مجرد نماذج مما قاله سعيد فريحه عن ابنائه، بان فضل توسع الدار في اصداراتها، ومشاريعها الجديدة يعود الى ابناء سعيد فريحه وخاصة الى احلام ومشاريع بسام. لكن الابناء يرفضون ربط التحولات الكبيرة التي لحقت بـ «دار الصياد» في عقدي الستينات والسبعينات بانفسهم لا بل ان بسام فريحه يقول انه حتى الاصدارات التي نشرتها الدار في عقد الثمانينات كانت بذورا وضعها عقل سعيد فريحه. «كل البذور وضعها الوالد. انه العميد المؤسس والمخطط، وصاحب الخيال الذي امتدت احلامه الى القرن الحادي والعشرين. انني وشقيقي عصام وشقيقتي الهام اوعية احلامه المستقبلية» [٤]

لكن سعيد فريحه كتب بيده وقال في حوارات متعددة عكس ما ذهب اليه نجله

بسام. واعطى سعيد افكار ابنه بسام فضلا كبيرا لما آلت اليه الدار حتى النصف الثاني من عقد السبعينات الذي شهد صدور «تقارير وخلفيات» ١٩٧٥، و«الدفاع العربي» ١٩٧٦، و«الاداري» ١٩٧٩، بينما كان التخطيط قد انتهى لاصدار مجلة «سحر» ١٩٨٠. و«فيروز» ١٩٨٠، و«الكمبيوتر والالكترونيات» ١٩٨٤، و«فارس فيروز» ١٩٨٥.

فأين الحقيقة فيما يقوله العميد المؤسس او الابناء الاوفياء لابيهم؟ كان سعيد فريحه يركز في احاديثه وكتاباته على ابنه بسام كثيرا حين يتناول الاصدارات الجديدة لـ «دار الصياد». ولم يمنعه هذا التركيز عن الانصاف بين ابنائه الذين لم تكن تسمياتهم صدفة كما يقول الزميل الاستاذ سليم نصار الذي عمل رئيسا لتحرير مجلة «الشبكة» وفي الدار. فعصام هو مثالية سعيد فريحه وعصاميته في بناء نفسه بنفسه، وبسام هو بسمة الدنيا وحب سعيد فريحه لها وعيشه فيها بالطول والعرض، والهام وحي الهامه ومصدر افكاره.

بداية، رفض سعيد فريحه ان يذوب الانجال في مهنة الصحافة مثله. وحاول توجيههم الى اختصاصات اخرى تبعدهم عن رحلة العذاب التي مر هو بها. ولم تنجح المحاولة لان عصام وبسام والهام نشأوا في بيت ملأت الصحافة كل ركن فيه. كانوا ينامون على هدير المطابع، ويستيقظون على ضجيج كلمات الاعجاب والاستحسان والتأييد التي تلقاها مقالات و«جعبة» سعيد فريحه التي وصلت شهرتها الى آفاق عربية غير معهودة في كتابات اي صحفي لبناني قبل سعيد فريحه.

. استسلم الوالد لمشيئة اولاده. فصار يعايشهم في مكاتبه. واخذوا يتذوقون العمل الصحفي والاعلامي الذي كان يمارسه الاب. فطغى حب المهنة على الاولاد تماما كما طغى حب القراء لمقالات سعيد فريحه.

انتقل عصام فريحه الى القاهرة، ودرس الصحافة في الجامعة الاميركية. اما بسام فبقي في بيروت، وانتقل من مدرسة برمانا الى الجامعة الاميركية وتخرج منها حاملا بكالوريوس في العلوم السياسية، وهو اختصاص كرس تعلق بسام بالسياسة التي احبها تظاهرات صاخبة كان يقودها ويحرض عليها تأييدا لقضايا لبنان والبلدان العربية.

ولد بسام فريحه، في السادس والعشرين من تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٣٩ وحين تخرج من الجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٦٠، كان والده سعيد فريحه قد استسلم للامر الواقع بعد مقاومة ومحاولة توجيه الابناء الى اختصاصات بعيدة عن الصحافة.

وامتزجت تجربة بسام فريحه الاولية بين الدراسة الاكاديمية والحياة العملية في «دار الصياد». وحين تخرج من الجامعة كان المسرح قد اعد له ولشقيقه عصام لخوض

تجربة جديدة. فقد أمر سعيد فريحه ان يبدأ اولاده العمل الصحفي من اول السلم.
«واذكر انه خلال سنوات الجامعة الاربع، كنت انزل في عطلة الصيف الى المطبعة لقص المجلات وترزيمها وتحميلها. وعشت فعلا طيلة الصيف في المطبعة اقوم باي عمل يطلب مني.
«وفي العام الثاني عملت فراشا في جريدة «الانوار» حيث كنت اقوم بنقل المقالات الى المطبعة، فضلا عن خدمة المكاتب المختلفة.
«وفي العام الثالث اشتغلت في الدائرة المالية والادارية، حيث اكتشفت مدى الفوضى التي كانت متفشية هناك. لذلك عندما عدت للعمل في الدار بعد تخرجي كنت مدركا لكل هذه المشاكل.
وفي الواقع عشقت العمل الصحفي. وقد عزز ذلك اكثر مثال الوالد. فهو لا يمثل لنا صورة مهنية فحسب، بل ايضا صورة وطنية نعتز بها، صورة تؤمن بالقومية العربية وتتماشى مع مبادئنا وافكارنا وتطلعاتنا» (٥)
وسعيد فريحه هو الذي جعل «دار الصياد» عربية المنطلق والالتزام. وهو الذي جعلها تنطلق الى الافق العربي. «لقد نشأ في حلب. كان في الكتلة الوطنية. وكان رجال استقلال سوريا ولبنان امتدادا لبعضهم البعض. ان تطلعات سعيد فريحه عربية» (٦)
قسم سعيد فريحه العمل بين ابنائه حسب اختصاص كل واحد فيهم و[illegible] رغبته وميوله الشخصية. فقد عين عصام رئيس تحرير «الانــوار» بعد ان ك[illegible] هو رئيسا للتحرير. وتسلم بسام منصب المدير العام للدار. واصبحت الهام نائبة للمدير العام في اوائل الثمانينات بعد ان كانت قد مارست العمل الصحفي في عقد السبعينات عندما ترأست تحرير مجلة «سمر» كصحفية محترفة، نشأت وترعرعت في بيت صحفي كبير. «عندما تفتحت عيناي على الحياة. فلم يكن هناك من فاصل كبير بين المنزل ومكاتب الدار، كونها كانت في مبنى واحد. بل كان هناك تمازج مادي وروحي مع الدار عبر سعيد فريحه الاب والصديق والرفيق والكاتب. حتى ان «جعبته» غالبا ما كانت تُدخل الصحافة الى المنزل والمنزل الى الصحافة. وكانت حكايات «ام البنين» والبنين من صلب موضوعات «الجعبة».
«من هذا المنطلق كنت جسدا وروحا في «دار الصياد» قبل ان اباشر العمل فعليا فيها.
«وعندما دخلت مكاتب الدار للعمل، كانت اول مهمة لي في مكتب شقيقي بسام. واذكر ان عملي كان اقرب الى وظيفة «حاجب» منه الى وظيفة سكرتيرة. «خذي هذه الورقة، وهاتي تلك. تحركي وافعلي كذا وكذا. . . .» اشتغلت عند اخي بسام حاجبة كما اشتغل هو عند شقيقي عصام حاجبا بالاضافة الى انه عمل في

المطبعة يقص الورق ويحزم ويحمل ويرزم عندما صدرت «الانـوار» عام ١٩٥٩.

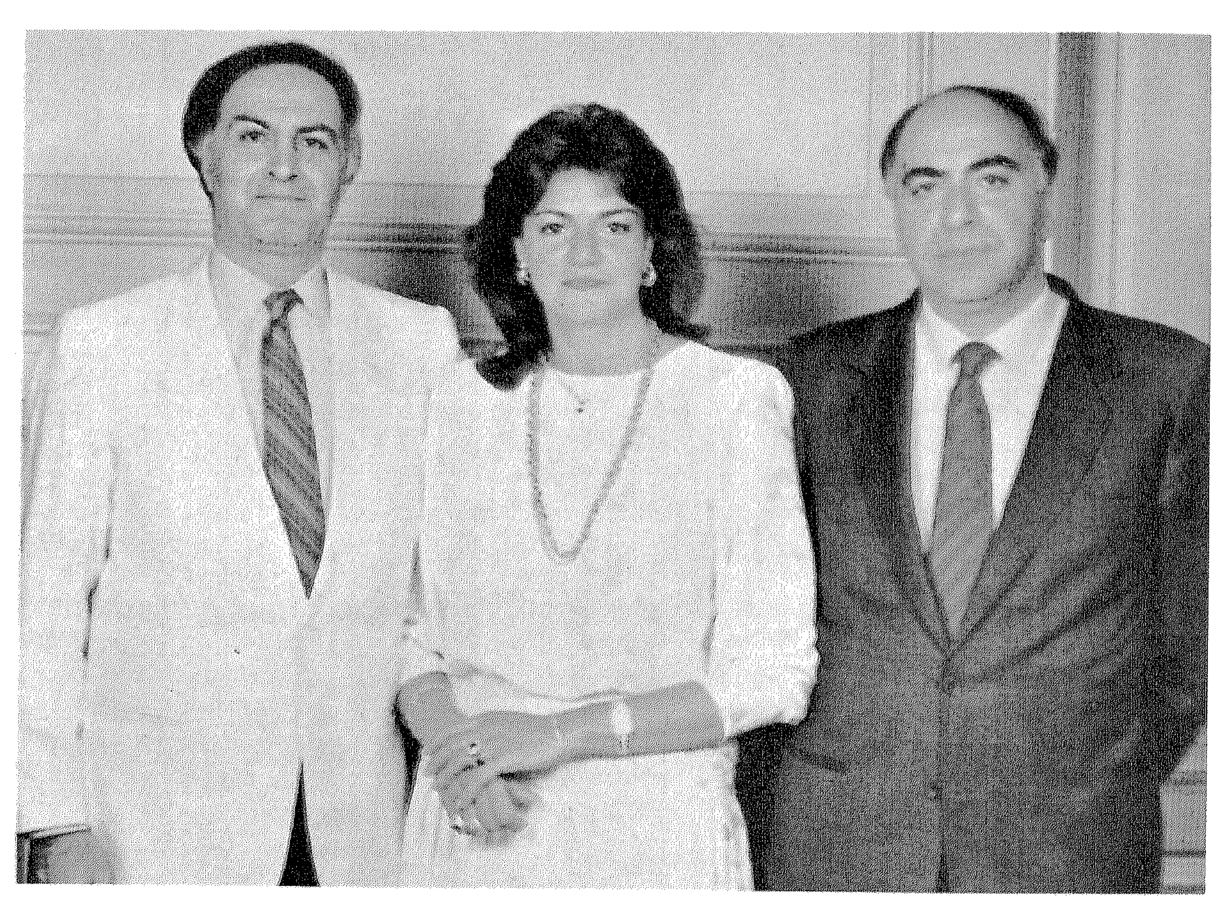
«كان شقيقي بسام يصدر اوامره وتعليماته فالبيها عن طيب خاطر لاثبت له جدارتي في العمل، حتى انه كان يطلب مني ان اردد وراءه ونحن في المنزل الهتافات التي كان يستعد لاطلاقها في المتظاهرين قبل توجهه الى الجامعة الاميركية. بعد ان تخرج من الجامعة وبدأ العمل في «دار الصياد»، اصبحت «حاجبا» لديه، واصبح راتبي الشهري ٣٠٠ ليرة. كان ذلك في العام ١٩٦٥، كما روت للمؤلف.

والتزم عصام وبسام والهام بمبدأ تقسيم العمل. «لكن هذا لا يمنع في ان عصام يشارك في قرارات الادارة، وانا اشارك في قرارات التحرير. ولا نعتبر ان هذا تدخلا في اختصاص احدنا. ان جو المحبة والالفة القائم بيننا قبل وبعد رحيل الوالد يمكننا من العمل كفريق واحد، متجانس، يكمل اعضاؤه بعضهم بعضا. ولهذا مردود ايجابي كبير على اصدارات الدار وعلى جو الالفة والمحبة الذي نحرص على ديمومته داخل اسرة الدار» [٧]

لقد مرت «دار الصياد» بعدة مراحل وتطورات جعلتها واحدة من اكبر دور النشر العربية، لابل اضخمها واوسعها في عدد الاصدارات وتخصصاتها وتنوعها. ومع هذا فقد بقي الانطباع بان الدار هي مؤسسة العائلة التي يشرف على مسيرة نجاحها المدير العام بسام فريحه.

ولا يوافق بسام فريحه على الرأي بان عهد العائلات قد انتهى في الصحافة، وانه اخلى مكانه الى عصر المؤسسات الصحفية العملاقة. فهو يقول: «ان صحف العالم الكبرى مملوكة لعائلات. وهي كذلك في اميركا وبريطانيا وفرنسا والمانيا. وفي اول ايار - مايو ١٩٨٩، افتتحت «الدايلي ميل» البريطانية، مبانيها الجديدة. ودشنت رئيسة وزراء بريطانيا الافتتاح. وتملك هذه الصحيفة العريقة عائلة روثمير الانكليزية منذ مئتي سنة. ونفس الشيء ينطبق على «نيويورك تايمز» و «تايم» و«لايف» و«الواشنطن بوست» وغيرها من الصحف العالمية. وهذا الامر لا يقتصر على الصحافة، والاعلام بشكل عام، بل ان نفس الشيء ينطبق على المصارف الكبرى في العالم. فالعائلة في المؤسسات المصرفية الكبرى هي الاساس، والمثل في عائلة روكفلر في الولايات المتحدة وفي اوروبا الغربية فهناك امثلة اكثر من ان تعد او تحصى.

«واذا كانت العائلة هي الاساس، الا ان العصرنة فرضت ظهور العائلة بمظهر المؤسسة. فصارت تطرح اسهما في البورصة، وتبقي اكثرية الحصص للعائلة. ان «دار الصياد» لم تشذ عن هذه القاعدة العصرية. فقد اعدت مشروعا متكاملا بهذا الخصوص منذ ما قبل الحرب اللبنانية. وحالت الحرب دون طرحنا بعض اسهم الدار في السوق، ولا زال المشروع معي. ويعرف قدامى العاملين في الدار انهم كانوا سيحصلون على نسبة من الاسهم» [٨]



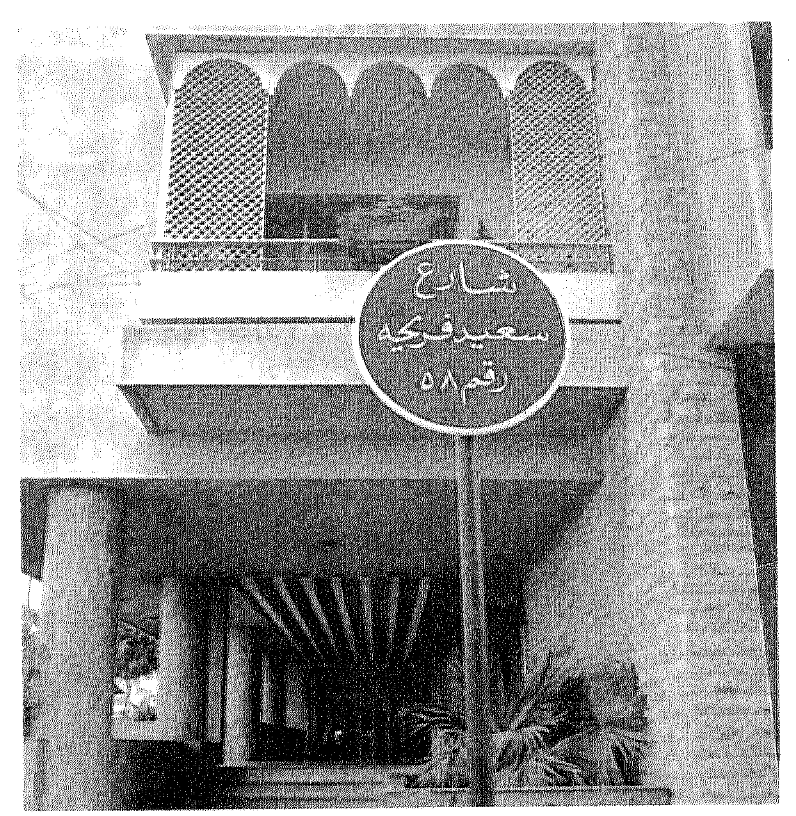
الادارة الفنية الحديثة: عصام وبسام تتوسطهما شقيقتهما الهام



الهام في حفلة تكريمها بمناسبة منحها وسام الاستحقاق اللبناني



شارع سعيد فريحه في الميناء - طرابلس



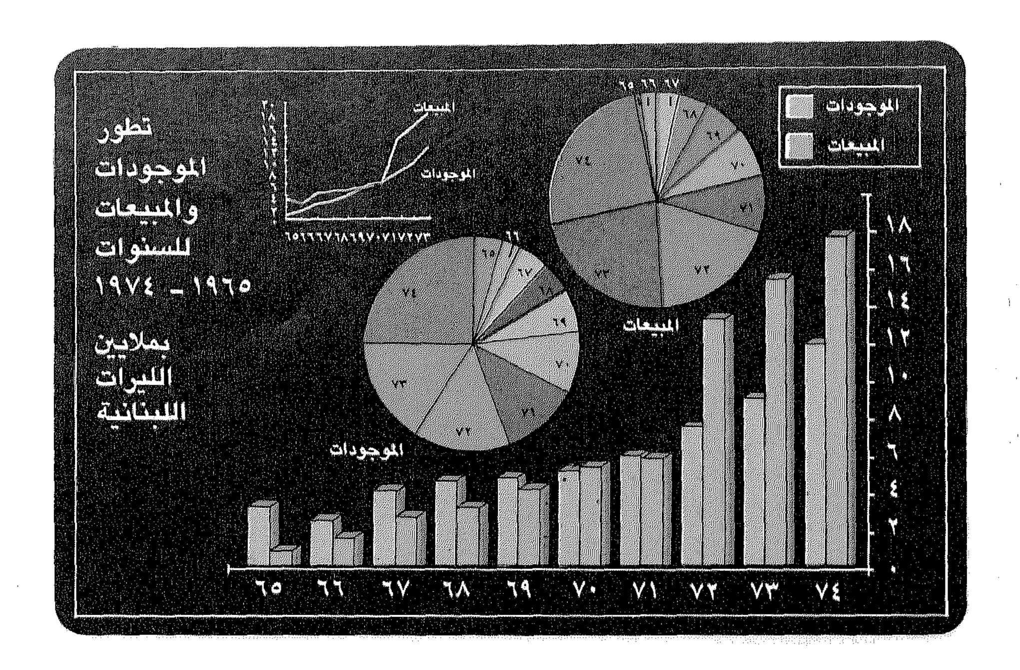
شارع سعيد فريحه في ڤردان

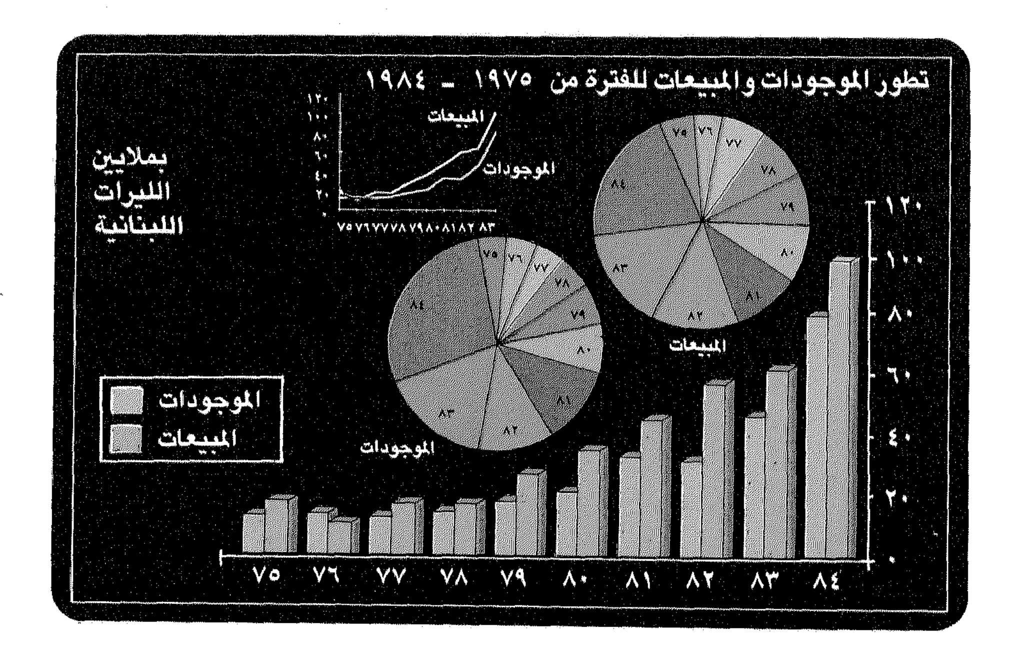


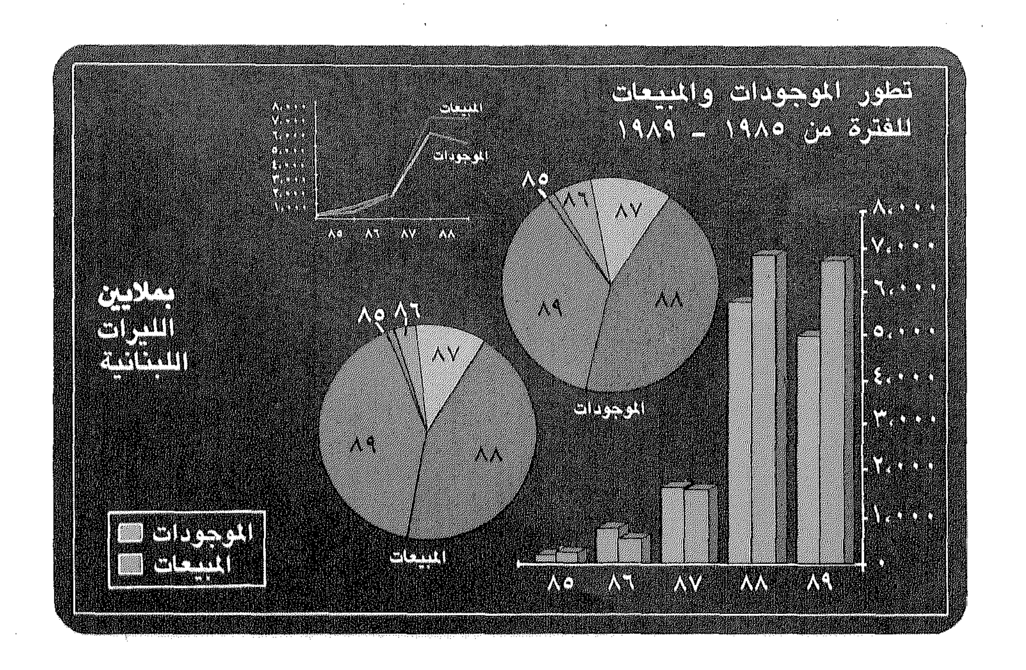
شارع سعيد فريحه في الحازمية



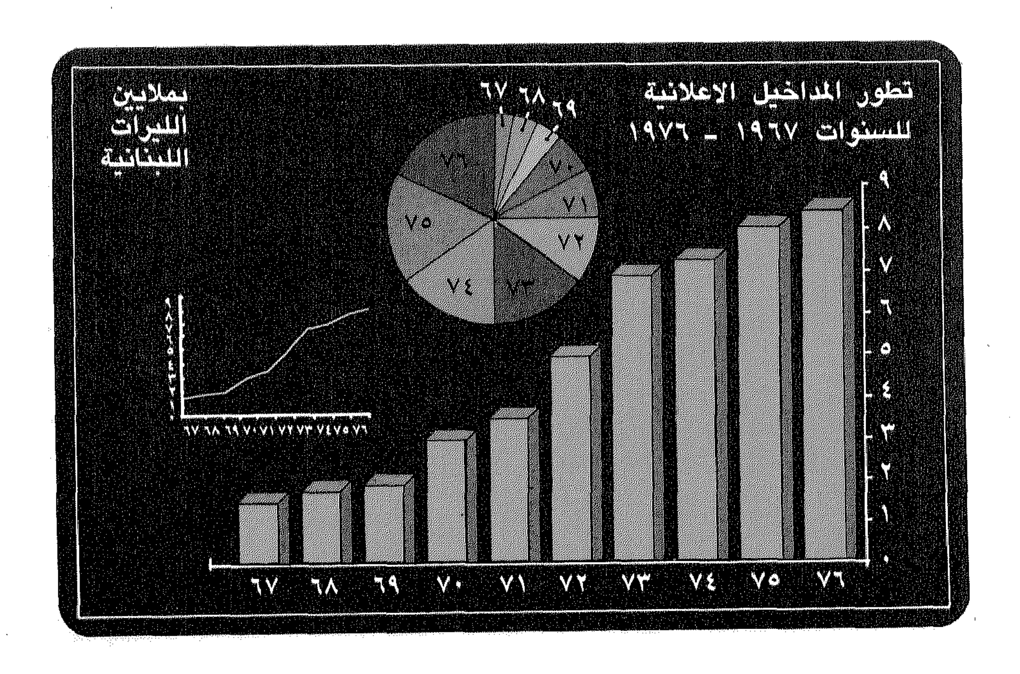
شارع سعيد فريحه في شتورة، عروسة البقاع


تطور
الموجودات
والمبيعات
للسنوات
١٩٦٥ - ١٩٧٤
بملايين
الليرات
اللبنانية
الموجودات
المبيعات
المبيعات
الموجودات
٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤
٠ ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨

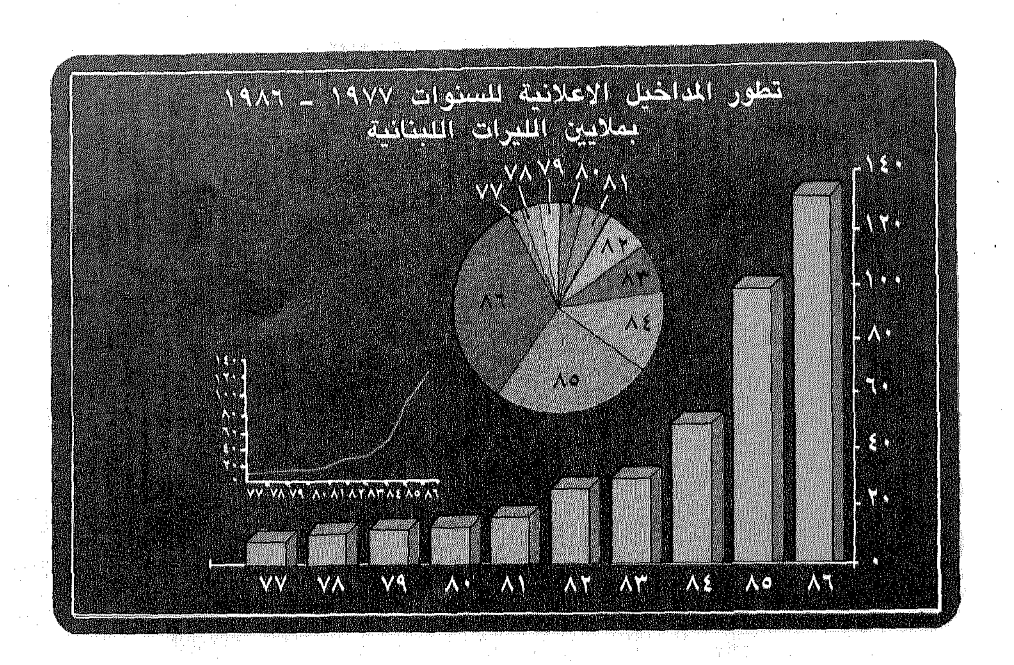

تطور الموجودات والمبيعات للفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٤
بملايين
الليرات
اللبنانية
الموجودات
المبيعات
المبيعات
الموجودات
٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ ١٢٠



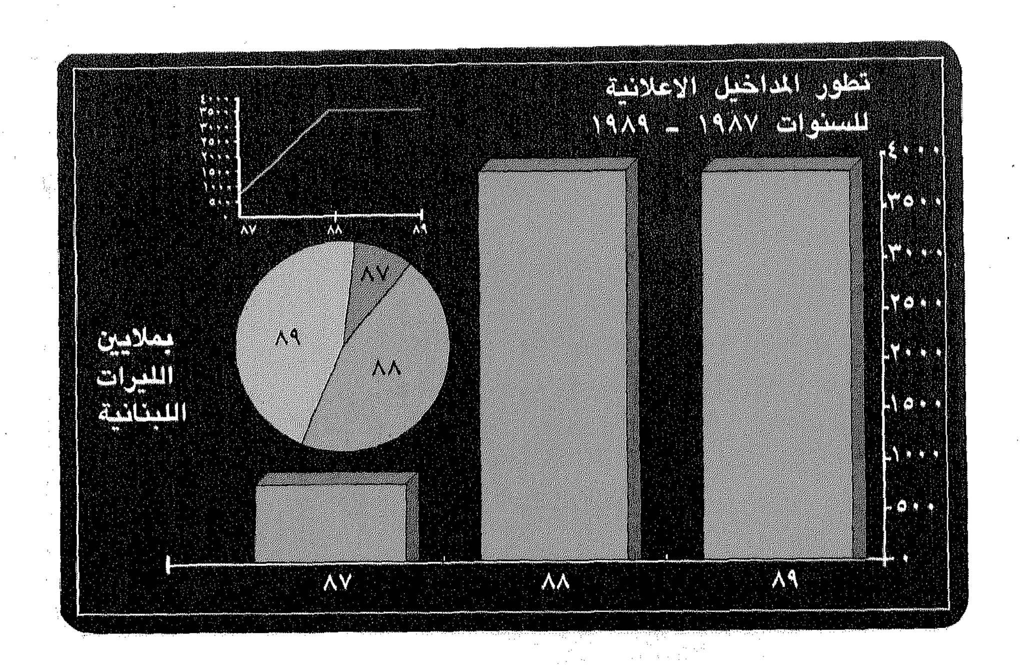
تطور الموجودات والمبيعات
للفترة من ١٩٨٥ - ١٩٨٩
بملايين
الليرات
اللبنانية
الموجودات
المبيعات
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩



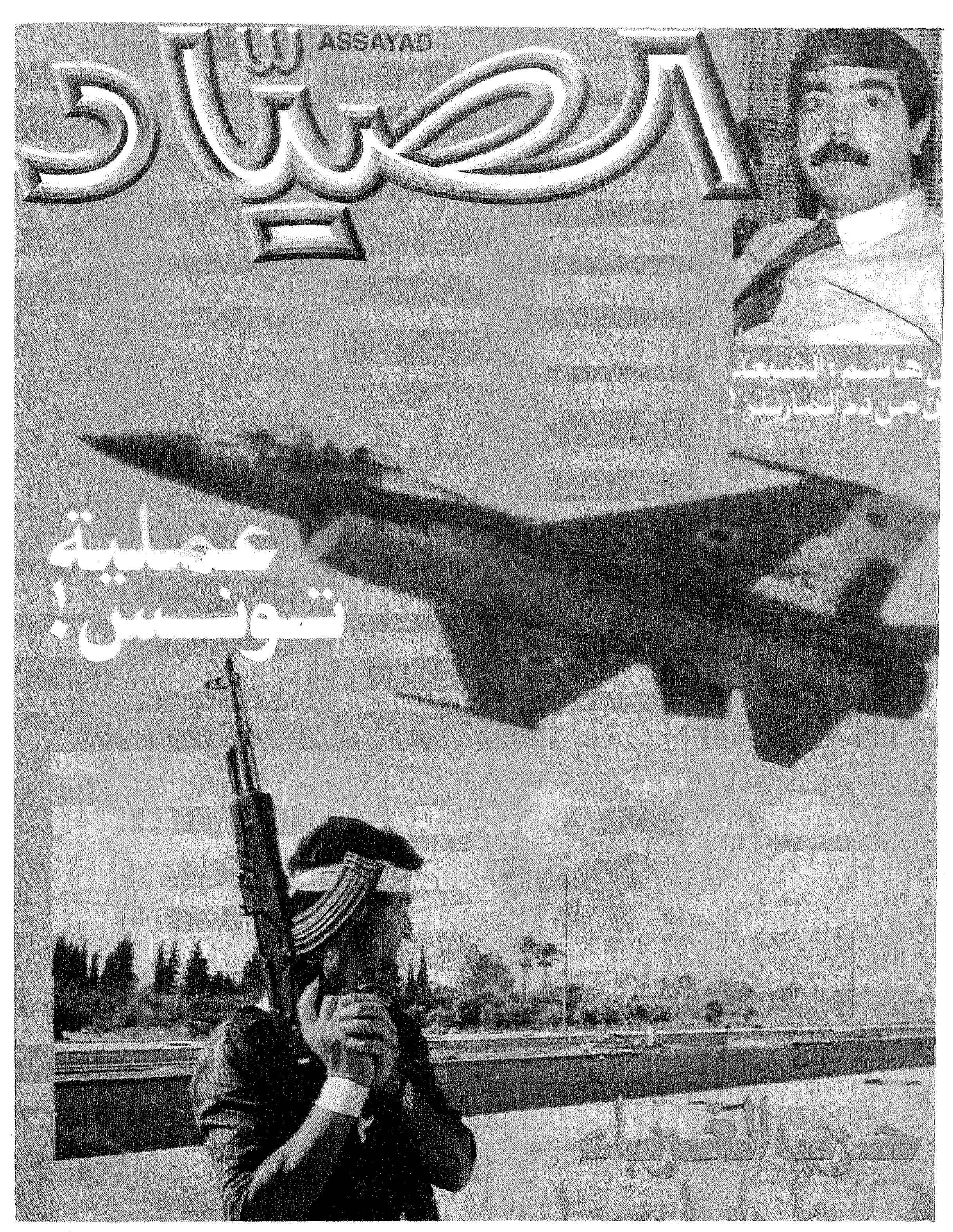
تطور المداخيل الاعلانية
للسنوات ١٩٦٧ - ١٩٧٦
بملايين
الليرات
اللبنانية
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦



تطور المداخيل الاعلانية للسنوات ١٩٧٧ ـ ١٩٨٦
بملايين الليرات اللبنانية
٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦



تطور المداخيل الاعلانية
للسنوات ١٩٨٧ ـ ١٩٨٩
بملايين
الليرات
اللبنانية
٨٧ ٨٨ ٨٩


الصياد
ASSAYAD
هاشم: الشيعة
من دم المارينز !
عملية
تونس!
حرب الغرباء


ACHABAKA
الشبكة
تريزيا الابري
ملكة جمال البقاع
تربي الاطفال
نبيلة عبيد
تبحث عن
امنيات جديدة
جميلات العالم
في جزر
سان مورتز
جرائم الغرام
نزهة...
جرفها النهر

١٩٥٦



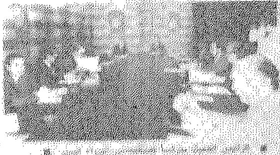
الأنوار

١٤ صفحة — ١٠٠ قرش

فجرا: تنفيذ الاعدام شنقا بابراهيم طراف

رفع الحد الادنى للأجور الى ١١٠٠ ليرة ونسب الزيادة ١٠ و٨ و٥ بالمئة

تطهير واجراءات بحق مديرين عامين و٤١ موظفا



شيسون: حل أزمة لبنان في مقدمة أولويات فرنسا



بيان هيئة التفتيش المركزي عن اجراءاتها بحق الموظفين

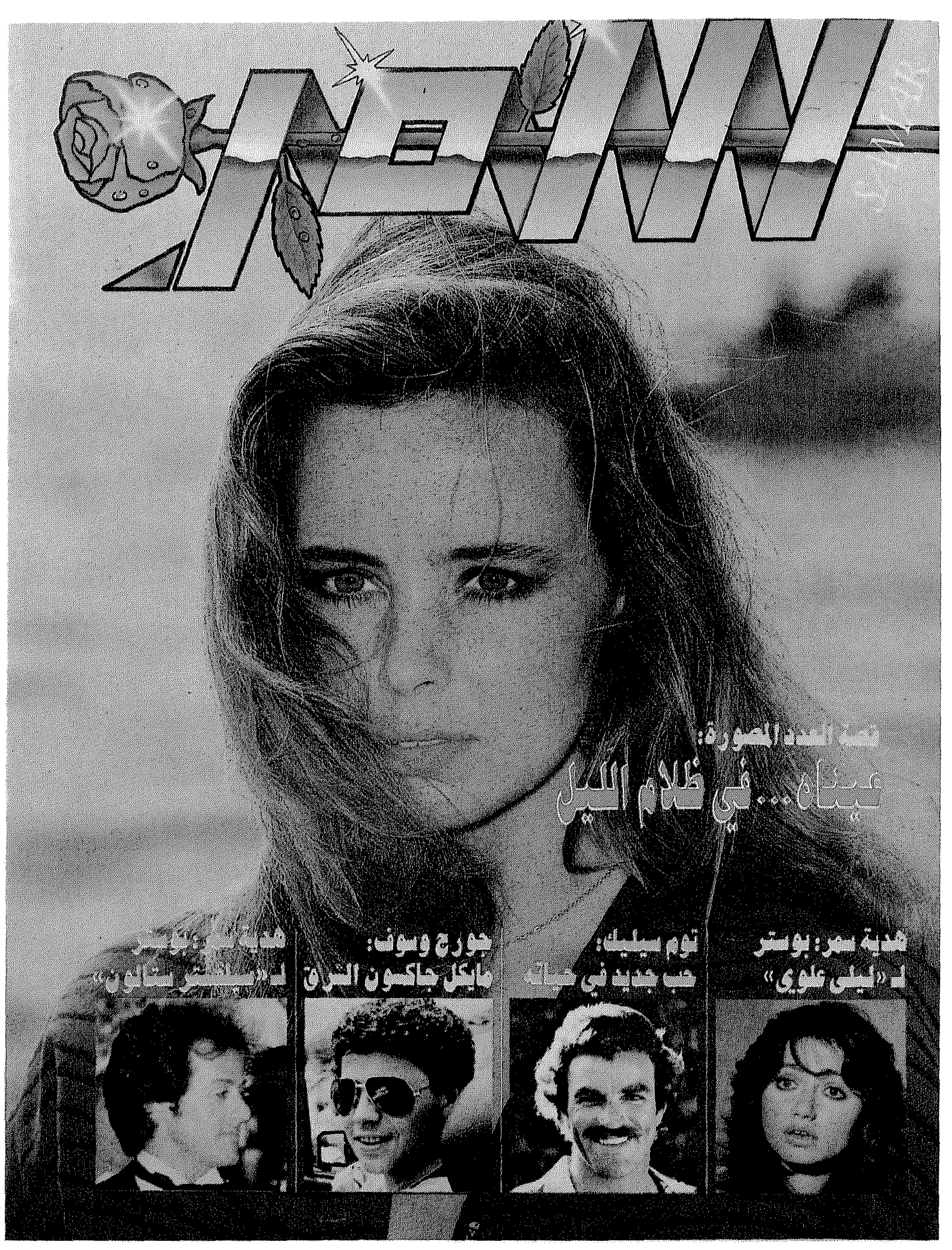
عرفات يرأس اجتماعا لزعماء المنظمة في الكويت

المفاوضات الثلاثية تستأنف اليوم والعقد الأمنية تراوح مكانها

ما البديل عن اتفاق سلام؟







قصة العدد المصورة:
عينان... في ظلام الليل
هدية سمر: بوستر لـ«ليلى علوي»
توم سيليك: حب جديد في حياته
جورج وسوف: مايكل جاكسون الشرق
بوستر



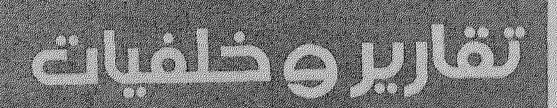
الكويت في مواجهة الكساد
الاداري
AL-IDARI
NOVEMBER 1985 VOL XI No 11
احمد دباس :
الادارة وانا
القطاع العام
القطاع الخاص
الاردن :

١٩٧٥



ARAB DEFENCE JOURNAL
الدفاع العربي
التورنادو - هوك
القوات الجوية
التكتيكية
والمخطط الاساسي
مشبهات تتميز بالواقعية
للتدريب على مختلف
المعدات الحربية

١٩٧٥



الاقتصاد السعودي بين الكساد والتنمية

يواكب البدء بتنفيذ خطة التنمية الخماسية الرابعة السعودية مع تحولات بارزة في البنية الاقتصادية من ابرزها استكمال بناء البنية ومختلف المشاريع الاساسية وبالتالي الدخول في مرحلة اقتصادية جديدة.

في المرحلة السابقة كان للقطاع العام حصة الاسد في تقرير المشاريع وتمويلها وتنفيذها وادارتها ذلك انه باعتبارها اساسية كانت ذات فائدة عامة وكان من الطبيعي ان تلعب الدولة الدور المتعاظم الذي لعبته لتشجيع الزراعة ودعمها مثلا لم يكن يهدف الى اغناء العاملين في هذا القطاع بقدر ما كان يهدف الى تحقيق الاكتفاء الذاتي في البلاد سواء من ناحية المواد الغذائية كالحنطة والتمر وسواهما او من ناحية الثروة الحيوانية كالدجاج وغيره.

وقد كان بمقدرة الدولة السعودية القيام بهذه المشاريع الضخمة نظرا لما كان يتوفر لها من فوائض مختلفة لكن هذه الفوائض في حالة انحسار حاليا وبالتالي تطرح خطة التنمية الراهنة تحديات هي الاولى من نوعها ومهمة للغاية سواء بالنسبة للقطاع العام او للقطاع الخاص ليست اقلها تراجع دور القطاع الاول وضرورة تعاظم دور القطاع الثاني.

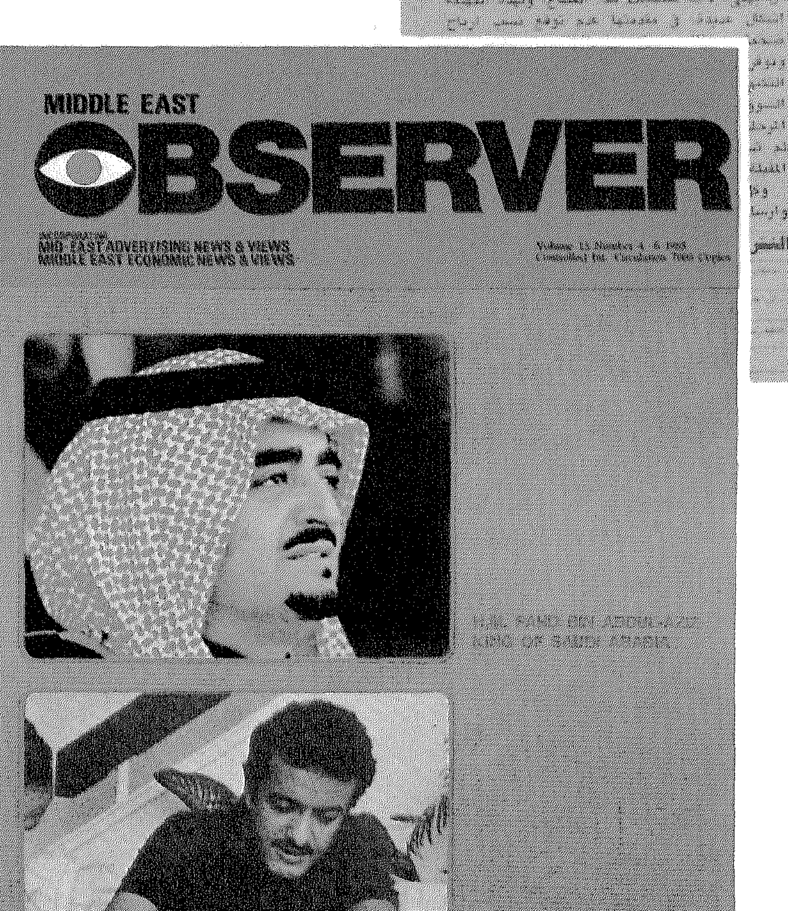
ان القطاع الخاص الذي كان المستفيد الرئيسي من المراحل الاقتصادية السابقة عليه ان يأخذ المبادرة في المراحل الاقتصادية المقبلة وعليه ان يعتمد على قدرته [illegible] وحيدة ومستعدا بالدرجة الاولى على [illegible] الذاتية بعدما [illegible] له [illegible] الاطر اللازمة لذلك.

السؤال الاكبر المطروح في هذا المجال هل باستطاعة القطاع السعودي الخاص قياما بالترجمة الراهنة القيام بالدور الكبير المطلوب منه في الواقع هناك العديد من الثغرات، وفي مقدمتها الافتقار الى الخبرات الوطنية باعداد كافية، مع ان السعودية قد قطعت شوطا لا بأس به. لكن يبقى انه غدا اكثر صعوبة الآن الاستمرار في الاعتماد على الخبرات الاجنبية، بل والايدي العاملة غير الماهرة في ادارة عجلة الاقتصاد. فالسعوديون سوف يجدون ان عليهم القيام باعمال لم يقوموا بها، ان دون ذلك لا يمكن لاقتصادهم ان يتطور بل دون ذلك ان يستطيع الحفاظ على ديمومة مشاريعاته الاقتصادية. ولعل هذا هو التحدي الاكبر بابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية الثلاثة.

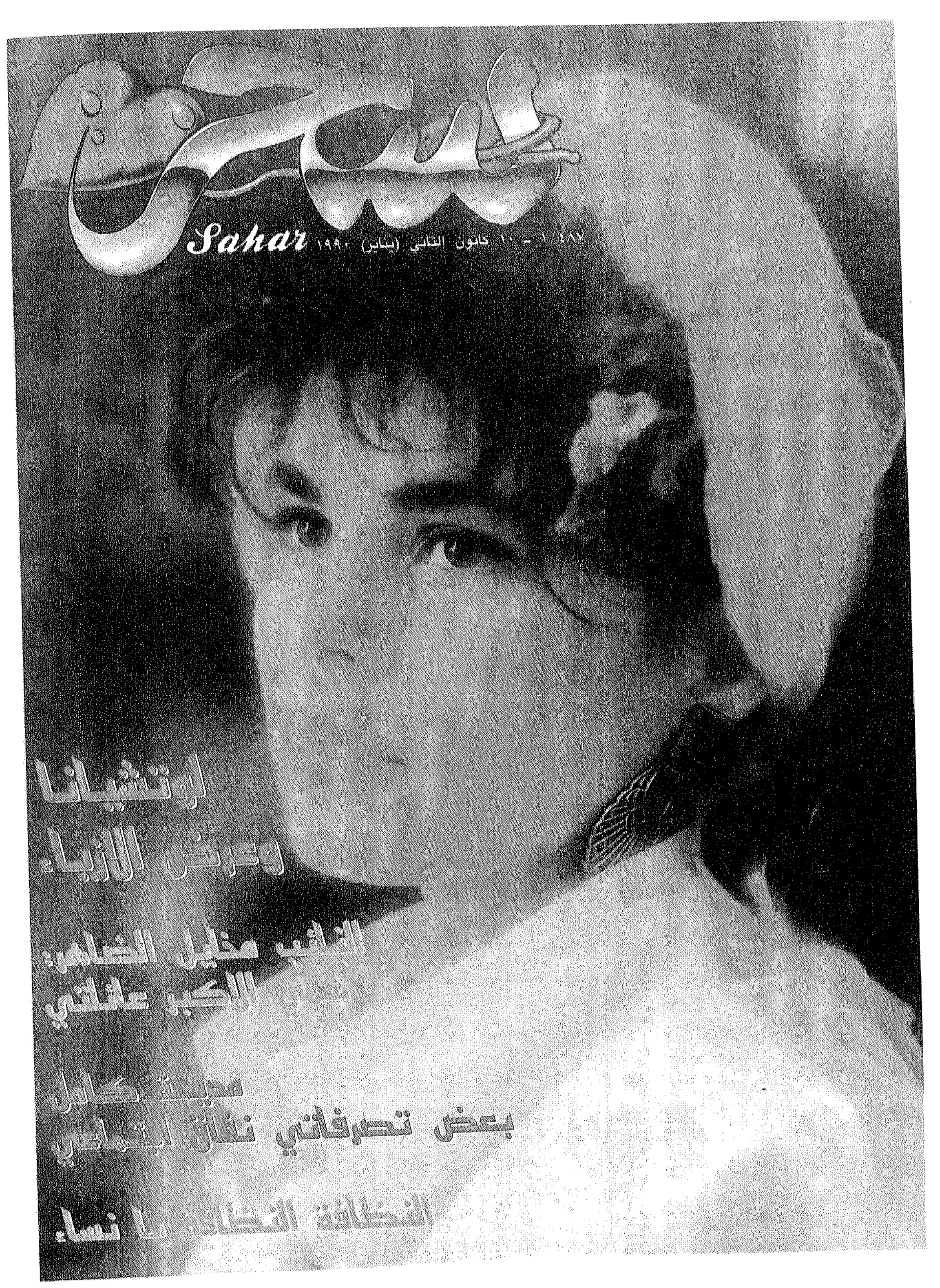
في المرحلة الاقتصادية الجديدة سوف يكون هناك تركيز اكبر على قطاع الخدمات [illegible] القطاع الخاص ان يتوجه [illegible] لهذا القطاع ولهذه التنمية [illegible] في مقدمتها عدم توفر نسب ارباح [illegible]

في هذا العدد

١٩٧٥



١٩٧٥

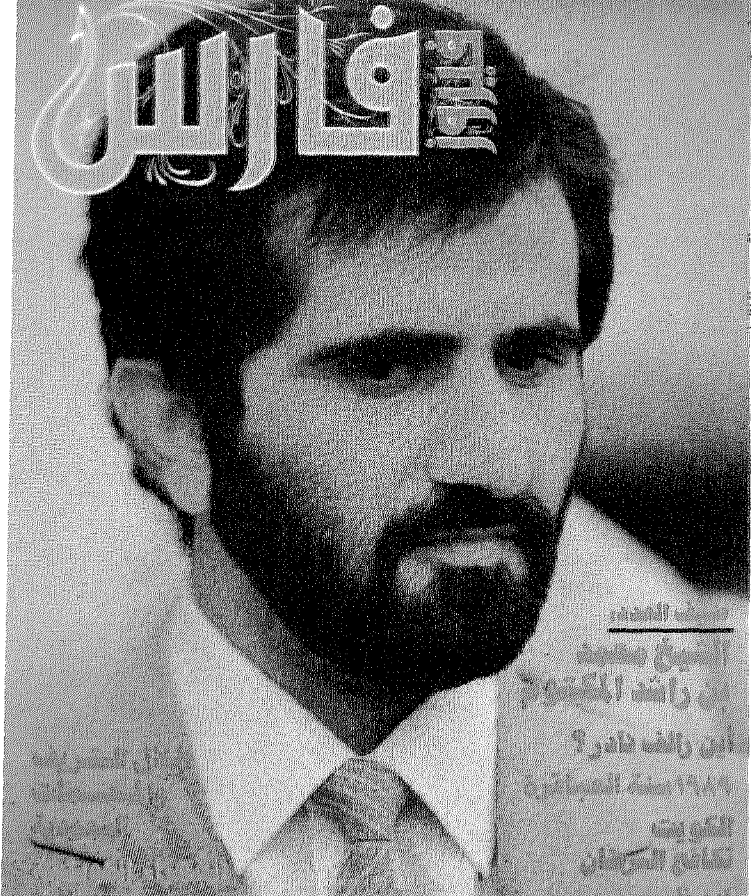

سحر
Sahar ١٩٩٠ (يناير) كانون الثاني ١٠ - ١/٤٨٧
لوتشيانا
وعرض الأزياء
النائب مخايل الضاهر:
همي الأكبر عائلتي
مديحة كامل
بعض تصرفاتي نفاق اجتماعي
النظافة النظافة يا نساء


فيروز
FAIRUZ
من حكاية الى حكاية
ديانا وتحديات هذا الجيل!
المرأة الاردنية
تلفزيون ابو ظبي

١٩٨١


Computer & Electronics
الكمبيوتر
والالكترونيات
اعادة رسم
القاهرة الفاطمية
بالكمبيوتر

١٩٨٤


فارس
الشيخ محمد
بن راشد المكتوم
أين رالف نادر؟

١٩٨٥

والانطباع الثاني بان الدار تعتمد على شخص بسام فريحه هو الاخر خاطىء. ففي «دار الصياد» اركان لهم ثلاثون سنة واكثر . «وقبل ايام اكرمتهم الدار. انني استطيع ان اذكر الكثيرين ، بينهم نصري اسطفان والياس مهنا وجورج ابراهيم الخوري وانطوان ابو عبدالله وانطوان بطرس وجاك رزق .

«انا غائب عن الدار منذ ١٤ سنة بينها الدار تسير بانتظام . انني لم اوقع شيكاً باسم الدار منذ غيابي عنها طيلة هذه المدة . مما يعني ان في الدار ادارة مالية ومحاسبة تقوم بواجباتها على اكمل وجه . وفي الدار رؤساء تحرير يعملون منذ اكثر من ثلاثين سنة . ودائرة التوزيع مستمرة منذ ايام سعيد فريحه. كذلك الحال بالنسبة لدائرة الاعلانات ودائرة العلاقات العامة .

«ويشكل مجموع الادارات تنظيماً هرمياً متكامل الاختصاصات والجوانب والاركان . ان حرب لبنان حالت دون ظهور اعمال وقرارات التنظيم الهرمي بالشكل المؤسسي المفروض. لكن هذا لا يمنع وجود هذا التنظيم الذي يتخذ القرارات وينفذها حسب السلطات المخولة له . لقد كان المؤتمر السنوي العام لـ «دار الصياد» المكان المناسب لاعلان تلك القرارات الخارجة من التنظيم الهرمي . لكن عدم الاستقرار في لبنان حال دون الاستمرار في انتظام عقد المؤتمر السنوي. وبالمناسبة فان «دار الصياد» هي اول مؤسسة صحفية عربية ابتكرت المؤتمرات السنوية لنفسها ولغيرها من دور الصحف العربية». (٩)

وكان المؤتمر العام لقيادة الدار واركانها الصحفية والادارية والمحاسبية والاعلانية والتوزيعية يناقش الخطط الخمسية ، ويقترح تعديلات عليها ، ثم يقرها ، والخطط الخمسية التي سارت عليها الدار منذ الستينات هي احدى ابتكارات بسام فريحه.

«ففي عام ١٩٦٠ تخرجت من الجامعة وكنت قد درست فيها الخطط الخمسية السوفياتية . اعجبتني الفكرة بالرغم من فشل تجربة السوفيات على الواقع . واقترحت تطبيقها في «دار الصياد» . وكان في ذهني ان كل خطة خمسية هي خطة للتطوير والتحديث. وهكذا كان . نحن نجحنا حيث فشل الاتحاد السوفياتي» . (١٠)

ان الاشراف الجيد وحسن الادارة والتنظيم المبني على قواعد عصرية متطورة هي قواعد ثابتة للعمل في «دار الصياد» منذ ان امدها سعيد فريحه بدماء جديدة في اوائل عقد الستينات . وهذه القواعد هي التي مكنت «دار الصياد» من الاقدام على خطوة جريئة في كل قرار اتخذته بشأن اصدار جديد اعتبره البعض مغامرة في عالم النشر بسبب ظروف الحرب في لبنان . وبدورها ، فقد اثبتت هذه الاصدارات حقيقتين . الاولى ان النشر في لبنان لم يتوقف وان رئة البلد لا تزال تتنفس. والثانية انه لولا وجود الادارة الجيدة والتنظيم الحسن في «دار الصياد» لما استمرت الاصدارات الجديدة في الحياة .

وحدث التوسع والازدهار في اصدارات «دار الصياد» بينما حدث انكماش في المؤسسات الصحفية اللبنانية الاخرى، مما يؤكد، مجدداً صحة القواعد الادارية والتنظيمية في الدار، بالاضافة الى عناصر اخرى، لا تقل اهمية، يشرح مضمونها مدير عام «دار الصياد» بالتالي: كانت «دار الصياد» تصدر خلال سنوات الحرب الاربع عشرة التي اقفلت فيها نحو ٧٠ في المئة من دور الصحافة اللبنانية بينما الجزء الكبير من الباقي هاجر الى الخارج ، مطبوعة جديدة ناجحة كل عامين ونصف العام. وهذا دليل على انه اذا توافرت الادارة المبنية على الحس السليم في العمل . . . فانه يمكن النجاح حتى في ظروف العمل التي تفرض على غيرك اما الاقفال او الهجرة .

«واعتقد ان «دار الصياد» كانت الوحيدة التي اثبتت ان العمل الصحفي الجيد يستطيع اغناءك عن اي دعم خارجي، فالمبيع وبالتالي الاعلان يستطيعان رفع التمويل الخارجي عنك الذي يحد طبعاً من حريتك في التعبير .

«لقد انطلقنا في البداية من ارضية مهنية صرفة بعدما جمعنا كل عوامل النجاح . فقد كان هذا تحدياً وطنياً بالنسبة الينا ، لاننا اردنا ان نثبت ان الظروف التي جعلت غيرنا يتوقف عن الاصدار، حاولنا نحن تسخيرها لاصدار شيء جديد . كما اردنا ان نثبت للعرب والعالم ان لبنان حي بقدراته، متطور بقيمه . وفي هذا الصدد اود ان اذكر ان اسرة «دار الصياد» ارتفعت من ٣٥٠ شخصا في بداية الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ الى ٨٥٠ مستخدماً في نهاية عام ١٩٨٨» . [١١]

وترتبط عناصر النجاح بالتنظيم والتفرغ والعمل المتواصل والمتابعة والاخلاص في العمل، بالاضافة الى التخطيط السليم والتنفيذ السليم على حد تعبير بسام فريحه . [١٢] اما فكرة الاصدارات والنشرات المتخصصة، فقد ساعدت على احراز هامش بسيط من النجاح . «لكن الذي ساعد فعلاً على النجاح هو العمل والاجتهاد والايمان برسالة الهدف ومحبته ، ومدى استيعابك له . غيرنا حاول عبر السنين الماضية اصدار نشرات متخصصة ، لكنها لم تنجح واقفلت . لماذا؟ لان الجهد اللازم لم يماشِ الفكر المتخصص وحسن التقدير، ثم المعاونة اللازمة من اشخاص كفوئين في مختلف حقول الانتاج الصحفي، كجهاز التحرير مثلاً ، او جهاز الطباعة ، او جهاز الاعلان . فمع الفكرة الجيدة كي تنجح ، ينبغي تأمين كل الجوانب الادارية الاخرى المساعدة . فأنا لا اذكر اننا نفذنا مشروعاً الّا وامنا له محاسباً اولاً ، ورجل اعلان ثانياً ، ثم يأتي بعد ذلك التحرير الجيد والمطبعة وشبكة التوزيع . وعندما تتأمّن هذه العناصر كلها ، عند ذاك فقط يمكن اطلاق المشروع الذي يكون حظه في النجاح اكثر بكثير من الفشل» . [١٣]

الفصل الثامن
سنوات التحدي والصمود

وضعت الحرب في لبنان صحافة البلد امام خيارات صعبة جدا، وبدا ان عصر النهضة الصحفية اللبنانية قد افل واشرف على المغيب، إيذانا بعصر مظلم زاد من حدة سنواته العجاف انكماش اقتصادي في المنطقة النفطية التي اصبحت سوق ترويج اساسية للصحافة اللبنانية في عقد السبعينات من القرن العشرين.

بعض الصحف هاجر من لبنان رغم محاولات التكيّف مع الحرب. وبعضها الآخر بقي رغم ضغط الحرب نفسيا وماديا على الناشرين والموظفين والعاملين والاداريين والفنيين، وعلى الابنية والماكينات الطباعية ايضا.

وكان الفارق بين الهجرة والصمود مرتفعا جدا. واختارت «دار الصياد» القرار الاصعب: البقاء في لبنان ودفع الثمن المرتفع. ويتمشى هذا القرار مع فلسفة سعيد فريحه ونظريته في الصحافة حيث اعتبرها التزام وطني الى جانب كونها مهنة اساسها الموهبة. وجسد هذا الالتزام عصام فريحه، رئيس مجلس ادارة «دار الصياد»، في التقرير السنوي لعام ١٩٨٠ حين قال: «ولا يخفى كم يؤثر الوضع (اللبناني) على عملياتنا وكم يرتب علينا من خسائر. . . ومع ذلك آثرنا حب الوطن والبقاء فيه على الهجرة الى البلاد البعيدة، بالرغم من الضريبة الغالية جدا التي يفرضها علينا هذا البقاء. اننا مسؤولون امام الله والوطن، وعلينا واجب الحضور مع الوطنيين من رجالاتنا المخلصين لاجل خدمة وطننا وقضاياه الملحة».[1]

وازداد ضغط الحرب وتنوعت اشكاله وممارساته وصوره. تراجعت الليرة امام الدولار. وارتفعت الاسعار العالمية. وزادت الرواتب والاجور. وهاجر الصحفيون، واصبح من بقي منهم من المحترفين عملة صعبة نادرة.

وكان لا بد من مواجهة مشكلة ضعف الليرة امام الدولار والارتفاع المستمر في اسعار الورق والشحن والماكينات والآلات والادوات بخطوتين، او بخطوة من

اثنتين. اما زيادة اسعار مطبوعات الدار، واما زيادة اسعار الاعلانات.

وزادت «دار الصياد» اسعار مطبوعاتها عام ١٩٧٩ . ثم توقفت عن الزيادة الى عام ١٩٨٢. وعدلت اسعار الاعلانات. وبقي الايراد الاعلاني عاجز وحده عن تغطية المصاريف وامتصاص الزيادات التي تطرأ على كل شيء: الاجور والرواتب والشحن والورق والماكينات.

وحين نشبت الحرب بين العراق وايران، فيما سمي حرب الخليج، تضاعفت حدة مشكلة الصحافة اللبنانية. فدول الخليج هي البلدان الرئيسية التي يتوجه اليها المعلن الغربي لترويج منتوجاته عن طريق الاعلان. واستمرار حرب الخليج وتأثيرها السلبي على دول الشرق الاوسط وتدني اسعار النفط وحجم الانتاج، هي عناصر اثرت بشكل بالغ على ايرادات الصحف، وانتهت الى تدني وهبوط في الميزانيات الاعلانية من جانب المعلنين الغربيين واليابانيين على حد سواء.

وجاءت الكارثة الكبرى مع الغزو الاسرائيلي للبنان وحصار بيروت عام ١٩٨٢ . ودخلت «دار الصياد» تجربة قاسية مع مطلع شهر حزيران ـ يونيو من هذا العام. فقد تعرض مبناها، عدة مرات، لقصف عشوائي اعمى. اصابه اصابات مباشرة، والحق به اضرارا مختلفة.

«وكان افراد اسرة الدار، من محررين وموظفين وعمال، يتعرضون اثناء تأدية عملهم اليومي لاخطار القصف، وتحركات الجيوش المتحاربة.

«لكن بالرغم من ذلك كله، استمر دولاب العمل في الدوران. الصحف لم تنقطع عن الصدور، والمطابع لم تتوقف عن الحركة، ومختلف الاقسام الادارية لم تتراجع عن تقديم الخدمات.

«بذلت دائرة التوزيع جهودا جبارة، بالتعاون مع غيرها من الدوائر الادارية. لتأمين وصول «الانوار» والمجلات الى بيروت المحاصرة والمناطق اللبنانية الاخرى التي كان من المتعذر دخولها.

«كما ان اغلاق مطار بيروت. . . اجبر الادارة على تأمين شحن الصحف بطريق البحر الى قبرص. ومن هناك كانت تشحن جوا الى مختلف الدول العربية والاجنبية.

«ولم تكن عملية الشحن سهلة على الاطلاق. فالبواخر كانت تجبر على التوقف ساعات طويلة في عرض البحر بانتظار خضوعها لعملية المراقبة العسكرية. وفي مرافىء قبرص كانت المعاملات الجمركية بطيئة للغاية.

«كل ذلك يجعل صحفنا تصل متأخرة الى مطار لارنكا، حيث كانت تتجمد فترة اخرى بانتظار وصول الطائرات.

«وبالاضافة الى تلك الصعوبات، فان الدار تكبدت مبالغ باهظة في عملية الشحن. كما ان وصول صحفنا متأخرة الى الاسواق العربية والاجنبية، ادى الى

تراجع التوزيع وبالتالي الى الغاء بعض العقود الاعلانية...

«وهذه هي السنة الثامنة التي نتكبد فيها مع الوطن الخسائر الباهظة ويضيع منا الجهد الكبير من دون ان يؤثر ذلك في ارادة الصمود والرغبة في العطاء».[٢]

وفي عام ١٩٨٤ تدمر المبنى وبقي الصرح الذي شيّده سعيد فريحه. واحال القصف المستمر على «دار الصياد» البناء الى مكان غير صالح للاستعمال. ووجدت الدار نفسها امام الحاجة الملحة لايجاد مكان تستوعّب فيه ما تبقى من اقسام في البناء الذي اقامه العميد المؤسس.

«لكن يبقى ان الظروف الاقتصادية والامنية لا تسمح لنا باجراء اي دراسة لترميم الدار القديمة او اعادة بنائها. وهذا يعني ابقاء المكان كما هو في حالته غير الصالحة دون ان يتسنى لنا الافادة منه بأيِّ شكل من الاشكال. وهذه خسارة اخرى تضاف الى خسائرنا المتراكمة كأنه كتب علينا ان نبقى في خانة الخسارة هذه دون ان نرى اي بصيصٍ امل للخروج من هذا النفق المظلم الذي نحن فيه...».[٣]

واخرت الحرب في قرارات الدار الخاصة بشراء تجهيزات ومعدات طباعية وفنية باتت ضرورية لتطوير قدرات الدار الطباعية ونوعيتها في وقت اشتدت المنافسة التي جاءت من الصحافة اللبنانية المهاجرة ومن المؤسسات الصحفية العربية الضخمة في الكويت والسعودية وبقية بلدان الخليج.

«ثم ان بلدان الشرق الاوسط كلها تتخبط بأزمات امنية واقتصادية حادة، بدأت تؤثر بصورة سلبية على عملياتنا في اسواق تلك البلدان.

«ان حرب الخليج ما زالت مستمرة. وقد كان لها تأثير سيىء على توزيعنا في العراق. اما في البلدان المنتجة للنفط، وهي اسواق رئيسية نعتمد عليها كثيرا في مبيعاتنا واشتراكاتنا، فقد تأثرت كثيرا بسبب تدني اسعار النفط الى حدود ١٢ دولارا للبرميل الواحد، بعد ان كان البرميل الواحد يباع بسعر يفوق ٣٥ دولارا. وقد رافق هبوط الاسعار تدني الانتاج، وبالتالي تراجع هائل في الايراد، مما سبب لتلك البلدان ازمة اقتصادية حادة كان لها هي ايضا تأثيرها السيىء على مبيعاتنا واشتراكاتنا هناك».[٤]

وفي لبنان، تدهور الوضع الاقتصادي الى حدود الخطر الحقيقي الذي اصابت شظاياه كل فرد وبيت واسرة ومعمل وشركة ومؤسسة ومصنع وادارة حكومية او خاصة. وتضخم هرم المأساة اللبنانية بتراجع سعر الليرة وقيمتها الشرائية، وارتفعت الاسعار بشكل جنوني ولم تعد تقف عند سقف. ولم يعد اللبنانيون يعرفون كيف يتعايشون ويتكيفون مع الظروف المعيشية التي تنتقل من حال الى اسوأ في كل ساعة ويوم.

«ولولا جذوة من امل باقية في نفوس قلة مخلصة من الناس المؤمنين الذين ما زالوا

يتشبثون بأرضهم ووطنهم ويتطلعون الى غد مشرق بتفاؤل، لكان من الجائز القول ان كل شيء في الوطن قد سقط.

«ونحن «دار الصياد» يشرفنا ان نكون واحدا من هذه القلة. لقد آمنا بالوطن وعقدنا العزم على البقاء فيه، والصمود الى جانب من صمدوا من ابنائه المخلصين، بالرغم من كل ما واجهنا من صعاب وما اصابنا من اضرار فادحة، رافضين الاغتراب الى حيث سبقنا الكثير من الصحف المهاجرة، مؤثرين البقاء ومتابعة الطريق مهما كانت طويلة وشاقة، ومهما كان الثمن غاليا.

«وفي الواقع فقد كان الثمن غاليا جدا والخسارة باهظة وفوق ما يحتمل. وبعض الخسائر لا يعوض كالمستندات والمراجع والصور التي فقدناها. وكلها ذات قيمة صحفية وتاريخية يصعب تقديرها بثمن». (٥)

وازاء كل تلك المصاعب والخسائر مرت مجلة «الصياد»، دون مطبوعات الدار الاخرى، بتجربة الانتقال الى لندن، بعد ان كانت قد مرت عام ١٩٧٨، بتجربة اولى حين انتقلت للطباعة في باريس.

بدأ تخطيط «دار الصياد» لنقل مجلة «الصياد» الى الخارج لانه «اصبحت لنا فعالية قوية هناك، تساعد في دعم وجود واستمرار الدار في لبنان».

وفي ظل الاوضاع المتردية «وعدم الرؤية للمستقبل القائم، فقد ادركت ادارة الشركة ابعاد هذه الحال التي تنعكس على نشاطات الدار مما يزيد من خسائرها في المستقبل. وقد بدأت التخطيط لطباعة مجلة «الصياد» واصدارها من لندن في المستقبل القريب، بحيث لم يبق في لبنان محررون سياسيون في المستوى المطلوب لاصدار المجلة. اذ غادر معظمهم لبنان الى الخارج وبنوع خاص الى اوروبا، حيث استقروا مع عائلاتهم وحصلوا على اذونات عمل مما يسهل عليهم ممارسة اعمالهم. ونية الادارة وتخطيطها ان يبقى لبنان مركز الثقل في التحرير، والاستعانة بمحررين منتشرين في اوروبا واميركا والعالم الغربي، على ان تجري طباعة المجلة في لندن، وتقوم هيئة تنسيق للمحررين بمساعدة شركة بريطانية تساعد على الخدمات المطلوبة من تنسيق وتحرير وطباعة وشحن وخدمات اخرى تحتاج اليها عملية اصدار المجلة من لندن».

وبالفعل تم، كما جاء في التقرير السنوي لعام ١٩٨٣، اكمال الاستعدادات في الربع الاول من عام ١٩٨٤، وانتهت كل التحضيرات الفنية والمالية والادارية والتنسيق التحريري والامور القانونية والتعاقدية المطلوبة. وفي الرابع من نيسان/ابريل ١٩٨٤ صدر العدد الاول من «الصياد» الذي جاء جديدا في الشكل والمضمون والاخراج «فلاقت وثبتها الاقبال من القراء والتقدير من الصحافة العربية والعالمية».

كانت كلفة الاصدار من لندن مرتفعة وباهظة جدا نظرا لارتفاع اسعار المواد والصف والاجور. «وتحت وطأة هذه الاعباء الثقيلة والخسائر الفادحة التي اصابتنا، كان لا بد من التفكير باعادة الطباعة الى لبنان. وقد تم ذلك من دون ان نسقط من حسابنا تلك الظروف الصعبة التي ما زالت تحيط عملنا بالمخاطر...».

وعادت «الصياد» الى الطباعة في بيروت بعد اقل من سنتين من تجربة نقل الطباعة الى لندن، وبقيت ظروف لبنان تسير من سيىء الى اسوأ.

لكن رغم المنافسة القوية التي واجهتها مطبوعات «دار الصياد» من الصحافة اللبنانية المهاجرة الى اوروبا ومن الصحافة العربية في الكويت والسعودية وبقية بلدان الخليج، نظرا للامكانيات الضخمة المتوفرة لديها، ورغم تحديات التكنولوجيا العصرية المتطورة التي دخلت على الماكينات الطباعية وتجهيزاتها المختلفة، فان الدار استطاعت الصمود في مواجهة الظروف الصعبة، والمستحيلة احيانا، وتفوقت في المنافسة القوية، محتفظة بدورها الرائد في الصحافة العربية.

كان لا بد من خطوات تطويرية ملحة رغم كل شيء.

عام ١٩٨٠ اشترت «دار الصياد» آلة تحسيس الافلام PROCESSOR لاستعمالها في تحسين نوعية التصوير الميكانيكي بطريقة الكترونية. فأصبح لدى الدار آلتان من هذا النوع، حيث كانت قد اشترت آلة مشابهة عام ١٩٧٩.

كما اشترت آلة للتصوير وتظهير الافلام بطريقة متطورة. CONTACT DOWN FRAME، وهي ايضا آلة ثانية اشترتها الدار خلال عام واحد.

واشترت آلة ثالثة خاصة بفرز الالوان COLORS SCANNING MACHINE. وفي عام ١٩٨٢، ورغم الحصار، اضافت «دار الصياد» معدات جديدة الى التجهيزات الطباعية الموجودة لديها، فاشترت ماكينة تجليد وماكينة صف تم تركيبهما وتشغيلهما وهما جديدتان.

وزادت اصدارات الدار رغم بقاء الغمامة السوداء في سماء لبنان.

باختصار كانت الاستجابة في «دار الصياد» اكبر واقوى من تحدي الحرب وتحديات ظروف المنطقة الاقتصادية والمالية. وتكمن وراء هذه الاستجابة عناصر توزعت بين القيادة والادارة والتحرير وبقية العاملين في الدار، بالاضافة الى التشبث بالغرسة التي زرعها سعيد فريحه في ممارسة المهنة من منطلق وطني متجذر بالارض.

يأتي في مقدمة هذه العناصر السيدة الهام فريحه، نائبة المدير العام، وهي التي اثبتت شجاعة نادرة خلال الاحداث سواء من خلال حضورها المتواصل في الدار، او بمتابعتها مسؤولية العمل الى جانب الموظفين الذين لم يتخلفوا في اسوأ الحالات واخطرها على حياتهم. وبهذا استطاعت «دار الصياد» ان تحافظ على «استمرارية العمل ولو بالحد الادنى الذي حصل به» في بعض الحالات.

ثم ان بسام فريحه، عضو مجلس الادارة والرئيس المدير العام، «يبذل باستمرار جهودا خارقة تجعل «دار الصياد» اكثر منعة وقوة، وتحافظ على دوران دولاب العمل فيها. وكم من مرة اوشك هذا الدولاب التوقف بسبب الخسائر الفادحة الناتجة عن الحرب اللبنانية، ثم عاد الى حركته السابقة بفضل اخلاص بسام ونشاطه وخبرته الصحافية والاعلانية، كذلك قدرته على التعاون المنتج مع جميع رفاقه في الدار. ويعتبر اسلوب العمل القائم بين بسام والهام فريحه، عضوة مجلس الادارة ونائبة المدير العام، مثالا يحتذى في ادارة المؤسسة وتأمين استمراريتها ونجاحها. والصفات الشخصية التي تتمتع بها السيدة الهام، ومن ابرزها التضحية والاستعداد للعطاء المهني رغم المخاطر، تزيد من فعالية هذا الاسلوب». (٦)

وثمة عنصر اضافي في هذا المجال ذكره الدكتور محمد جابر الانصاري، وهو الذي خبر العمل في «دار الصياد» واكتشف سر نجاحها وصمودها واستمرارها. فقد طرحنا عليه سؤالا من واقع خبرته في الدار وقلنا له: كان سعيد فريحه يعزو امر ادخال «دار الصياد» الى روح العصر الى ابنائه، وخاصة بسام، بينما ابناؤه يعزون النجاح الى العميد المؤسس. فأي الرأيين ترجحون؟

اجاب: «اعتقد ان بسام تقمص فضائل والده. لقد استطاع بسام ان يرث وان يجسد الكثير من خصائص والده. صحيح انه لم يرث عنه خاصية الكتابة بالذات، لكنه ورث عنه بقية الاشياء.

ورث عنه العلاقات الانسانية.

ورث عنه القدرة على الحوار مع الآخرين.

ورث عنه المرونة في العمل وخلق العلاقات مع الناس في مختلف المستويات.

ان لسعيد فريحه فضل التأسيس ولابنائه، وخاصة بسام، فضل المواصلة.

ولو ان بسام لم يستطع ان يجسد تلك الخصائص لتوقف العمل لان الكثير من المؤسسات، وبدون ذكر الاسماء، لم تنجح فيما نجحت فيه «دار الصياد». وتوجد في العالم العربي دور صحفية شهيرة نجحت بفضل مؤسسها، واستقطبت في حياة مؤسسها كتابا شهيرين، وكان لها التأثير الاكبر بين المؤسسات الصحفية. ويمكن في بعض الاحيان، كانت تنافس «الصياد» وتزايد عليها. لكن بمجرد ما انقطعت حياة المؤسس، لم يكن هناك اناس يواصلون الرسالة. فمن هذه المقارنة، نستطيع ان نقول ان الذين يواصلون الرسالة مهمين. من هنا دور ابناء سعيد فريحه، وخاصة بسام». (٧)

لقد بنى سعيد فريحه شبكة من العلاقات الانسانية، داخل الدار وخارجها. وكان لهذه الشبكة الانسانية الفذة احسن الاثر على نفوس العاملين في الدار وهي التي دفعتهم الى التضحية في سنوات الحرب لابقاء «دار الصياد» في مركز قيادي متقدم في

ميداني الصحافة اللبنانية والعربية.

«ولا يسعنا جميعا، سوى مواصلة بذل الجهود لمواكبة التطور الصحفي، من كافة نواحيه التحريرية والتقنية والادارية، خدمة للقارىء في لبنان وخارجه.

«وهذا التصميم يساهم في تخليد ذكرى فقيدنا الكبير سعيد فريحه، ورفع شأن الدار التي بناها حجرا حجرا وبذل حياته في سبيل استمرار تقدمها معنويا وماديا.

«وعندما رحل سعيد فريحه عام ١٩٧٨ في احلك ساعات الحرب، ترك خلفه تراثا بارزا من ادب الحياة والسياسة، وقلعة صحفية ترتفع فوقها رايات مطبوعاته الكثيرة الناجحة. كذلك ترك لنا اسلوبا اساسه العقل والمحبة والعطاء والنشاط، ينير لنا الطريق للمحافظة على هذه المنجزات ودعمها باستمرار».[٨]

والقوة الرئيسية التي دفعت «دار الصياد» الى تحقيق اهدافها في سنوات الحرب هي روح العطاء والاخلاص المهني السائدة في الدار «والتي تجلت في احلك الساعات واقساها. بالاضافة الى التعاون الممتاز بين الاقسام التحريرية والادارية والطباعية، وفي داخل كل قسم. والامثلة على الاخلاص والتعاون كثيرة...». لقد ابدى الموظفون في الدار روح المسؤولية، وتحلوا بالصبر وهم يثبتون جدارتهم واهليتهم المهنية والوطنية على حد سواء.

وترى السيدة الهام فريحه ان الصمود «فعل ارادة. هو فعل ايمان يتجسد بتصميم على مواجهة العقبات، وعلى رفض التراخي والاستسلام للواقع الاليم والمصاعب.

«انه التحدي. التحدي الذي عايشته «دار الصياد» منذ ما قبل اندلاع الحرب، وفي خلال الحرب، وخاصة في الاشهر الاخيرة منها حيث كان العمل مغامرة بكل معنى الكلمة.[٩]

«انه التحدي الذي واجهه سعيد فريحه في حياته بكل العصامية والجرأة والتمرد على الواقع. فكان ان انطلق - بالعرق والسهر والهموم - من «الصياد»، الى «دار الصياد»، ليؤسس مدرسة في الصحافة وهو الذي لم يدخل في حياته مدرسة.

«فمن كانت هذه قاعدته، فلا بد له من ان يصمد، بل من ان يحافظ على هذا الارث وعلى هذا التراث الذي يحكي سيرة حياة كانت امثولة في التحدي والصمود.

«ان استلهام روح سعيد فريحه كان دافعا رئيسيا للمواجهة، بل للاندفاع نحو مزيد من العطاء، ولاكمال الرسالة بحيوية الشباب المستندة الى حكمة الشيوخ.

«وبالطبع لم تكن دراية وعقلانية عصام فريحه بعيدة عن عوامل الصمود، وهو الذي بالتحليل الواعي والتوجيه الرصين، والتصرف الاخوي المحب، قد حافظ على ميزان الاعتدال والانفتاح في ظروف انقلبت فيها كل الموازين.

«وتكتمل قاعدة عوامل الصمود بديناميكية بسام فريحه وهو العقل الخلّاق «المشرقط» والمحّرك والدافع لكل تطور وتجديد. ففي الوقت الذي ارخت فيه

الاحداث بثقلها على التفكير والتصرف في لبنان، كان بسام الفكر النيِّر والقلب المنفتح والنبع الذي يمد الدار واسرتها بمقومات الصمود والنمو.

«من هنا، لم يكن الصمود مجرد ظاهرة عابرة، بل كان تراثا وارادة وموقفا، ليس مني فقط، بل ومن رفاق وزملاء اختاروا في الفترات الحرجة، الاقامة تحت وابل القصف في «دار الصياد»، لتأمين صدور مطبوعاتها في المواعيد المحددة وفي مستواها الصحفي والتقني المعروف».[١٠]

حواشي ومراجع

تقديم

(١) منح الصلح، مفكر وكاتب لبناني، ذكر العناصر السالفة الذكر للمؤلف.
(٢) بسام فريحه، مدير عام «دار الصياد» للمؤلف.
(٣) نشرت مجلة «الصياد» فقرات مما قاله الدكتور البستاني في عددها الصادر بتاريخ العشرين من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٨٩.
(٤) المرجع السابق.
(٥) مقدمة التقرير السنوي لعام ١٩٨١ الذي قدمه رئيس مجلس الادارة عصام فريحه الى الجمعية العمومية.
(٦) زاد العدد الى اثنتي عشرة مطبوعة كما سنرى في فصل لاحق.
(٧) التقرير السنوي لدار الصياد عام ١٩٨٠.
(٨) وفي تواريخ لاحقة اطلقت بلديات شتورا وبيروت وطرابلس اسم سعيد فريحه على شوارع معروفة في هذه المدن اللبنانية العريقة.
(٩) التقرير السنوي لعام ١٩٨٧.
(١٠) المرجع نفسه.

الفصل الأول

(١) كتاب «تطور الصحافة السورية في مئة عام»، الجزء الاول، «دار النضال» - بيروت ١٩٨٢.
(٢) راجع ما كتبه محمد حسنين هيكل عن مواقف سعيد فريحه من سجن مصطفى امين في فصل «وفاء نموذجي».

الفصل الثاني

(١) اديب مروة، «الصحافة العربية نشأتها وتطورها»، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.
(٢) جاء التعريف في محاضرة القاها سعيد فريحه في معهد الصحافة، بيروت، ١٩٦٩.
(٣) نقيب الصحافة اللبنانية السابق.
(٤) من محاضرة القاها رياض طه بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٦، وقال فيها ايضا: «يتهمون الصحافة بالخضوع الى

ضغط المال. والاولى تحرير من الضغوط المادية التي قد تضطرها الى التخلي عن استقلالها. ان تدخل الحكومة يجب ان يكون من اجل منح الصحافة مناعة ضد المغريات وحالات الضعف..».

(٥) وفي السياق نفسه قال رئيس حكومة لبنانية: «ان الاذاعة هي جريدة الحكومة». ورد عليه رياض طه قائلا: «تعتبر الصحافة نفسها اذاعة الرأي العام».

(٦) ان الدوافع الايديولوجية ـ العقائدية هي وراء الصحافة الحزبية والحكومية. وهذه ليست مجال الدراسة والنقد والتقييم هنا.

(٧) نقلها المؤلف اديب مروة عن كتاب «اوروبا السياسية» لمؤلفه توفيق وهبه.

(٨) اديب مروة، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(٩) المرجع السابق: ص ٢٥٣

(١٠) رياض طه، من محاضرة له بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٦.

(١١) سعيد فريحه، مقابلة صحفية اجرتها معه مجلة «الجمهور الجديد» اللبنانية بتاريخ ١٩٧٣/٤/١٢.

(١٢) يوسف غانم، كتاب «مشاهد الرجال»، والنص منقول عن كتاب اديب مروة، مرجع سابق.

(١٣) اديب مروة، مرجع سابق.

(١٤) مقابلة اجرتها معه مجلة «الحوادث»، وقال فيها: «ومن لائحة المساهمين التي نشرت وفقا لقانون المطبوعات... يتبين اني لا املك اكثر من ٦٥، ١٠ في المئة من الاسهم. اما مجموع ما يملكه ورثة جبران تويني ـ مؤسسة النهار ـ فهو ٢٧٨٧ سهما فقط. بينما يملك المحررون ٢٦،٨٢ في المئة من الاسهم. وقد جرى تمليكهم هذه الاسهم لقاء تصفية جزء من تعويضاتهم... ان ٢٧ في المئة من جريدة «النهار» يملكها وقف خيري كهبة، وهو امر قديم منذ تأسيس «شركة النهار». ويقول الدكتور ميشال الغريّب، في كتابه «الصحافة اللبنانية والعربية»، بيروت، ١٩٨٢ ان الصحفي اللبناني اسس جريدة «النهار» عام ١٩٣٣. وكان قد مارس الصحافة طويلا منذ ١٩٠٨، بادئا في باريس. ثم مصر، ثم بيروت، محررا في عدة صحف. وعين جبران تويني سفيرا للبنان. في كل من الارجنتين والاوراغواي والتشيلي. وعين وزيرا للمعارف. وانتخب نقيبا للصحافة عام ١٩٤٦. وبعد وفاته عام ١٩٤٧ انتقلت «النهار» الى ابنه غسان إثر تسوية مع بقية الورثة.. ثم تطورت الى شركة مساهمة باسم «دار التعاونية الصحفية».

(١٥) ياسر هواري، صحفي لبناني تسلم رئاسة تحرير اكثر من مجلة لبنانية.

(١٦) راجع تفاصيل رأي مدير عام دار الصياد بالمشروع الفردي والمشروع الصحفى العائلي في فصل آخر من الكتاب.

(١٧) من اجوبة للاستاذ مصطفى امين طرحها عليه المؤلف عن طريق مكتب «دار الصياد» في القاهرة.

الفصل الثالث

(١) من حديث أعطاه سعيد فريحه الى جريدة «الجزيرة» السعودية ونشرته في ١٢ آذار ـ مارس ١٩٧٨.

(٢) المرجع السابق. وفي نفس الحديث قال سعيد فريحه ان «دار الصياد» اصدرت بعد ذلك الدفاع العربي وسمر والاداري وملحق الانوار. «وكل ذلك بفضل اولادي الذين تحملوا هذه الاعمال الشاقة وما زالوا»..

(٣) حديث اذاعي لسعيد فريحه نشرته «الانوار» بتاريخ ١٢ آذار ـ مارس ١٩٧٨.

(٤) من محاضرة القاها سعيد فريحه في قاعة الاجتماعات الكبرى في الجامعة الاميركية في بيروت يوم ١٩ كانون الثاني ـ يناير ١٩٧٣.

(٥) كانت «دار الصياد» سباقة في هذا المضمار وتبعتها دور ومؤسسات صحفية عربية اخرى.

(٦) اديب مروة، مرجع سابق، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١. هذا وكان سعيد فريحه اول رئيس تحرير لـ «الانوار» في حين شغل هشام ابو ظهر منصب مدير التحرير وعصام فريحه الذي درس الصحافة في القاهرة، تسلم سكرتيرية التحرير، ثم اوكلت اليه في تاريخ لاحق رئاسة التحرير.

(٧) اختلت هذه النسب بسبب الحرب في لبنان وصارت نسبة الخدمات الانسانية والطبية اكثر من اربعين في المئة. وهذا طبيعي في الظروف الاستثنائية التي تقتضي تغيير الاولويات.

(٨) الدكتور فؤاد ابو زيد «الصحافة المتخصصة»، عالم الكتب، ١٩٨٦.
(٩) المرجع نفسه، ص ٤

الفصل الخامس

(١) من حديث اعطاه سعيد فريحه الى مجلة «صوت الشباب» كلية بيروت الجامعية، في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٤.
(٢) جاء ذلك في محاضرة القاها سعيد فريحه في الجامعة الاميركية في بيروت بتاريخ ١٩٧٣/١/١٩.
(٣) فقرات من حديث اعطاه سعيد فريحه لصحيفة «الجزيرة» السعودية ونشرته بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٢.
(٤) محاضرة القاها سعيد فريحه في معهد الصحافة، بيروت، ١٩٦٩.
(٥) عصام فريحه، رئيس مجلس ادارة «دار الصياد» في رده على اسئلة المؤلف.
(٦) الهام فريحه، نائبة المدير العام، في ردودها على اسئلة المؤلف.
(٧) يقصد تحويل «الصياد» الى دار تصدر عنها عدة صحف ومجلات.
(٨) من حديث الدكتور محمد جابر الانصاري الاستاذ في جامعة الخليج في البحرين الى المؤلف.

الفصل السادس

(١) يمكن مراجعة قصة بناء «دار الصياد» في الحازمية كما رواها سعيد فريحه بقلمه في مجلة «الصياد» الصادرة بتاريخ العشرين من كانون الثاني - يناير ١٩٥٥.
(٢) من حديث اجرته مجلة «الجمهور الجديد» اللبنانية مع سعيد فريحه ونشرته بتاريخ ١٩٧٣/٤/١٢.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) جريدة «الانـوار» التاريخ ١٩٧٣/١/١٧.
(٥) كان الميكروفيلم امنية المؤسسات الصحفية اللبنانية في تلك الحقبة حيث لم يكن الكومبيوتر قد خل الى الاستعمالات الاعلامية بعد.
(٦) وثمة بادرة سابقة على هذه اتخذها سعيد فريحه في اواخر عقد الخمسينات حين اصدر جريدة «الانوار». فبعد ان تمركزت الصحف العربية في دور صحفية ضخمة وزاد توزيعها وارتفعت نسبة ارباحها ارتفاعا بالغا، اخذت تزيد من مرتبات محرريها وكتابها الى ان بلغ الامر بجريدة «اخبار اليوم» ان اصبحت تدفع لاقل محرر او مخبر مبلغ مئة جنيه شهريا. «وقد افادت (اخبار اليوم) بهذا العمل جميع المحررين في مصر كما افادت جريدة «الانوار» اللبنانية التي رفعت اجور محرريها فاضطرت معظم الدور الصحفية الاخرى الى مجاراتها في رفع رواتب محرريها وموظفيها».
(٧) في مقابلة خاصة مع المؤلف جرت في ايار - مايو ١٩٨٩.

الفصل السابع

(١) نشرت «الانوار» الحديث باللغة العربية في ايلول - سبتمبر ١٩٧٣.
(٢) عرض تلفزيون لبنان المقابلة في شهر نيسان - ابريل ١٩٧٥. وانشئت «مؤسسة سعيد فريحه» في الاصل لتقديم المساعدات المالية والمهنية والطبية في حقل الاعلام وللعاملين في قطاع الاعلام. الّا ان الظروف التي يمر بها لبنان، والمآسي التي يتعرض لها اللبنانيون ضمن جميع الفئات والقطاعات والمناطق شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، حدت بالمؤسسة الى ان تولي الرعاية الاجتماعية والشؤون الانسانية الحياتية القسم الاكبر من اهتمامها، بحيث تكون اكثر استجابة للظروف ولتكون معوناتها اكثر فائدة، ولتصب حيث العطاء افعل وانجع. . كما جاء في كراس «دار الصياد - تاريخ في سطور» الصادر عن الدار، بلا تاريخ. وقبل نشوب الحرب في لبنان عام ١٩٧٥، اشتركت المؤسسة عام ١٩٧٤ مع مؤسسة طومسون البريطانية، باقامة دورة تدريبية لمحرري الصحف العربية

هي الاولى من نوعها في لبنان والبلدان العربية، ويقول مدير عام «دار الصياد» في مقابلة مع «مجلة الشرق الاوسط» السعودية ان الهدف الاساسي من وراء المؤسسة، كما وضعها مؤسسها سعيد فريحه، هو تطوير الكادرات الصحفية، سواء في القطاع الاعلامي، او الاعلاني، او الطباعي، او حتى التوزيع التجاري، عن طريق ايفاد المجلين منهم الى الغرب بالذات، سواء من «دار الصياد» او من المؤسسات الاخرى التي تتعامل معها. وكان الهدف ايضا رصد ٢٥ في المئة فقط من هبات صندوق المؤسسة للاعمال الانسانية. لكن منذ بداية الحرب انعكس دور المؤسسة، فأصبحت نسبة ٢٥ في المئة تذهب لايفاد المبتعثين الى الخارج لتحسين مهنة الصحافة، بينما الـ ٧٥ في المئة الباقية اصبحت تذهب كمساعدات انسانية، لان هذه هي حاجة لبنان، اذ لا يمكن ابدا في ظل هذه الاحوال ارسال شخص الى لندن ليتعلم مهنة الاعلام وانفاق خمسة ملايين ليرة عليه سنويا بمعدل سعر الصرف الحالي، في الوقت الذي يمكن الاستفادة من هذا المبلغ في مساعدة مئتي عائلة اصيبت بتفجير سيارة او هجرت مناطقها المختلفة.

(٣) نشرت الحوار صحيفة «الجزيرة السعودية» بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٢.
(٤) قال مدير عام «دار الصياد» هذا الكلام للمؤلف في مقابلة خاصة اجراها معه في شهر ايار ـ مايو ١٩٨٩.
(٥) من حديث له نشرته «مجلة الشرق الاوسط» السعودية، العدد ١٤٨.
(٦) من حديث اجراه معه المؤلف، مرجع سابق.
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع نفسه.
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) المرجع نفسه.
(١١) من حديث بسام فريحه الى «مجلة الشرق الاوسط»، مرجع سابق.
(١٢) من حديث اجراه معه المؤلف، مرجع سابق.
(١٣) من حديث مع «مجلة الشرق الاوسط»، مرجع سابق.

الفصل الثامن

(١) جاء هذا الاعلان بعد ان نقلت «دار الصياد» مجلة «الصياد» الى باريس في تجربة قصيرة لم يُكتب لها النجاح.
(٢) عصام فريحه، رئيس مجلس الادارة، التقرير السنوي لعام ١٩٨٢.
(٣) التقرير السنوي لعام ١٩٨٥.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) التقرير السنوي لعام ١٩٨٦.
(٦) التقرير السنوي لعام ١٩٨١.
(٧) قال الدكتور الانصاري هذا الكلام للمؤلف في جامعة الخليج في البحرين والتي يعمل فيها استاذا.
(٨) التقرير السنوي لعام ١٩٨١.
(٩) تقصد القتال الذي نشب ما بين آذار ـ مارس ١٩٨٩ وايلول ـ سبتمبر من العام نفسه.
(١٠) من حديث اجراه المؤلف مع السيدة الهام فريحه في تشرين الاول ـ اوكتوبر ١٩٨٩.




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





نبذة عن المؤلف

محمد عبد المولى الزعبي كاتب وصحفي عربي نشر اول كتاب له عام ١٩٥٨ بينما كان لا يزال في المدارس الثانوية في طرابلس، لبنان. وبعد ان حصل على البكالوريا اللبنانية حصل على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٦٤ وعمل في الصحافة في بيروت، ثم عاد الى الدراسة وحصل على درجة ماجستير العلوم السياسية بتقدير جيد جدا من جامعة القاهرة عام ١٩٦٩ عن اطروحته «الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١، تجربة في الوحدة العربية». وانضم عام ١٩٧٠ الى اسرة تحرير «الحوادث» اللبنانية وعمل رئيسا لقسم الشؤون الدولية وقسم الشؤون الفلسطينية، وفي عام ١٩٧١ انشأ «مركز المعلومات» في «الحوادث»، وكان ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٤ رئيسا لتحرير «الحوادث»، ثم انتقل الى اسرة تحرير «الصياد» اللبنانية في لندن وراسل صحف «دار الصياد» من واشنطن، وتسلم رئاسة تحرير «الصياد» ما بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٨٨. ويعمل الآن مندوبا متجولا لصحف «دار الصياد» في الخليج العربي. ويمتاز مؤلف كتاب «عصر الصحافة العملاقة، دار الصياد من مجلة الى مؤسسة» بابحاثه العلمية الموثقة وسعة قراءاته واسلوبه العلمي الذي لا يخلو من عنصر التشويق.

الغلاف تصميم وتنفيذ
سليم صوايا

السعر: ٧ دولارات
او ما يعادلها